

الصُّوفِيَّةُ وَالْفُقَرَاءُ فِي الْيَمَنِ

تأليف

عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْحَبَشِيُّ

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

وبعد فإن إهتمامى بنزاع الصوفية والفقهاء في اليمن وهو موضوع هذا الكتاب مرده إلى سببين .

أولهما : الأهمية العلمية للحصيلة الفكرية التي خلفتها معارك الصراع بين الصوفية والفقهاء في اليمن إذ أن أبطال هذه الممارك كانوا من خيار القوم وخاصة الفقهاء المتصوفون منهم تلك الممارك التي اتخذت شكل الفر والكر ولم يدم فيها النصر لهذا الفريق أو ذاك اظهرت معالم النزاع وحددت ملامح القضايا التي دارت فيها حلبة الصراع وصعبت الحصييلة الفكرية من الثقافة بالوان الفقهية والصوفية .

ثانيهما : ان هذا النزاع غطى فترة زمانية ليست بالقصيرة في تاريخ اليمن والذي أعطى هذا الجانب أهمية إن آثار هذا النزاع لم تقتصر على النواحي الفكرية فحسب وإنما تعدتها إلى الناحية السياسية ذلك لأن الولاة كانوا هم قادة هذه الممارك وكان موقفهم هو الذي يرجع هذا للفريق أو ذاك وإلى لارجو ان اللون بهذا الجهد المتواضع قد اسهمت في إعطاء صورة وان كانت مختصرة عن ذلك الصراع وأبطاله وآثاره كما أرجو من الله ان يوفقنى ويوفق

غيرى للعودة إلى هذا الموضوع وإعطائه الأهمية التى يستحقها من الدراسة
والتحقيق واستخلاص ما يفيد هذه الأمة ويعمق جذورها لى تنطلق إلى
المستقبل بفكر ووعى وأصاله تقبها من مهابى الانزلاق والتردى فى اعماق
التقليد الأعمى ولا انسى بهذه المناسبة ان اشكر مكتبة الجيل الجديد الفراء
لما بذلته من جهد فى سبيل طبع هذه الدراسة المتواضعة وإخراجها إلى حيز
الوجود راجيا المولى ان ينفع بها .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المؤلف

فهرس أبواب الكتاب الرئيسية

- ١ — فى التصوف اليمنى وتاريخه .
- ٢ — مدرسة ابن عربى فى التصوف اليمنى .
- ٣ — النزاع بين الفقهاء والصوفية فى اليمن .
- ٤ — أحداث النزاع التاريخية .

فِي التَّصَوُّفِ الْيَمَنِيِّ وَتَارِيخِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ التصوف من خلال أعلامه

دخل التصوف الإسلامي اليمن من خلال الزهد الذي دعا إليه الاسلام وكتابه العظيم وقد كان التصوف نتيجة حتمية لما انتهى إليه القوم من الإغراق في العبادة والتقشف . هل أتينا لا نريد أن نعود بالتصوف في اليمن إلى أصول ترجع إلى ما قبل الإسلام كما هي العادة عند أكثر الباحثين في مثل هذه الدراسات، إذ التصوف إذا كان من حيث هو زهد وعبادة وتقشف فهو معروف عند أكثر الأمم وهو من حيث مادته ظاهرة إنسانية عامة لا تنفرد بها أمة من دون أمة . وإنما نغني بالتصوف هنا هذا الذي وصلنا في صورته الإسلامية بما له من أتباع وتقاليد وآداب .

وقد كانت البداية للتصوف في اليمن بداية يشوبها الغم والشمول فلا نستطيع أن نحصرها في شخص واحد تسمه بصيغة التصوف وإنما هي في صفة جماعية يشترك فيها كثير من القوم . وقد تفشت صيغة التصوف خلال القرن الأول الإسلامي وكان أهل اليمن هم أكثر الناس معرفة لحقيقة الاسلام وما أتى من أخلاق تركتها آثارها في نفس المسلم اليمني ولا غرابة في ذلك وقد تفرس رسول البشرية هذه الظاهرة في أهل اليمن فقال (أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً

وأرق أفئدة الايمان بيمان والحكمة بمانه (١) وهذه الرقة التي عناها الرسول
صلى الله عليه وسلم هي هجرة النصف في النفس البشرية .

ومع كثرة المتصوفين من الرهيل الاول في اليمن مشكون مضطربين إلى تعيين
بعض الاشخاص - حتى لا يطول البحث - فمن هؤلاء جماعة من الصحابة رضوان
الله عليهم من الذين يرجعون بأنسابهم إلى أصول يمنية كأبي موسى الأشعري الذي
ولد هوادي زبيد وكان من زهد وعبادته أنه ساء له معاذ بن جبل كيف تقرأ
القرآن فقال أقرؤه في صلاتي وعلى راحتي ومضطجعا وقائما وقاعدا أتقوته
قوتاً (٢) . ويقال أنه صام حتى أصبح كأنه خلال خليل له أو أرحت نفسك فقال
هيات إنما يسبق من الخيل المضرة . ومن وعظه قوله (أيها الناس أبكوا فان
لم تبكوا فبناكوا فان أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء
حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت) توفي رضى الله عنه سنة ٤٤ هـ .

ومن زهاد اليمن في عصر الصحابة الصحابي الجليل أبو هريرة عبد الرحمن
ابن صخر كان من دوس وولد باليمن ونفاً يثما فرحل إلى المدينة ولقي النبي
صلى الله عليه وسلم وكان يقول (كنت اعتمد بكبدى على الأرض من الجوع
والى كنت أشد على بطنى من الجوع) وقد ظلت نزعة العبادة والزهد ملازمة
له حتى آخر أيامه ومن طريف ما يذكر عنه أنه ولده عمر بن عبد العزيز على
ناحية البحرين ثم رآه ابن العربيك مشغولاً بالعبادة فعزله وطلبه بعد زمن من
العزل وتوفي سنة ٥٩ هـ (٣) .

(١) أنظر هذا الحديث وتخرجه في تاريخ صنعاء للرازي ص (٦) (هامش) .

(٢) أبو الفرج ابن الجوزى : صفة الصفوة .

(٣) يراجع في ترجمته كتاب . تاريخ صنعاء أعلام النبلاء للذهبي مرآة الجنان لياقنى

وغيرها .

ويأتى بعد طبقة الصحابة جماعة من الاخيار اقتفوا آثار السلف حتى سموا
بالتابعين لاتباعهم لهم وكان اليمن من هذه الطبقة نصيب وافر من الرجال
لا يزالون التبراس المضيء للنسك الاسلامي الخالص في صورته الحقيقية بعيداً عن
المؤثرات الخارجية . فن طبقة التابعين عمرو بن ميمون الاودى الذى أدرك
جماعة من صحابة الرسول (وكان هابدا زاهداً معدوداً فى الاولياء) ويقال أنه
حج مائة مرة ما بين خبجة وعمره وهو من حضرموت توفى سنة ٧٥ بالكوفة (١)

وهل رأس هذه الطبقة التابعى الجليل طاووس بن كيسان أشهر رجال
اليمن فى هذه الفترة وقد ترجم له كل من حنى بأخبار الزهاد والاتقياء . وما
ذكره أنه كان عليه ضربية يؤديها على أرضه فى كل عام فقيل له أن الوالى
سيرفع تلك الضريبة فقال لهم وهل سيرفعها عن غيرى فقيل له لا فأبى ذلك
فكان يؤديها كل سنة ومن أقواله الوعظية قوله محذراً من السلطان (لا تنزلك
حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه وجعل عليها حجاباً ولكن أنزلها عن باب مفتوح
لك إلى يوم القيامة) ومن أقواله (الاسلام شجرة أصلها الشهادة وثمرها " ررع
ولا خير فى شجرة لا ثمر لها ولا خير فى إنسان لا ورع له) . ويؤثر عن طاووس
البعد عن المذاهب الطارئة كمذهب الخوارج والمعتزلة وغيرهما توفى سنة ١٠٦ (٢)

ومن عباد اليمن وزهادها فى هذه الفترة . وهب بن منبه الذى كان من كبار
التابعين أدرك جماعة من الصحابة ورحل إلى مكة فلقى هناك شهرة واسعة ومن
أخلاقه التى تدل على علو طبقته فى الزهد والعبادة أنه جاءه رجل فقال له أنى

(١) ترجمته فى طبقات الخوارج ص ١٠٧ .

(٢) انظر ترجمته فى تاريخ صنعاء ص ٣١٨ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٦٠ والخوارج

ص ٦١ وغيره .

سمعت فلاناً يفتنك فغضب وقال لم يحد الشيطان رسولا الى غيرك . ويقال انه
انه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسین سنة ومن أقواله (الايمان هريان ولباسه
التقوى وزينته الحياء ، توفي سنة ١٢٠ (١) .

ويذكر صاحب تاريخ ١٠٠ جماعة من زهاد اليمن خلال القرنين الثاني
والثالث منهم محمد بن بسطام الصنعاني كان زاهدا يعمل الخوص ويفطر على
قرص شعير يخلط معه الرماد إذا هجن فياً كل من عمل يده ذلك القرص يرتصدق
بما بقي من عمل يده (٢) .

في القرن الخامس

في القرن الخامس تطالعا عدة أسماء من أعلام التصوف في اليمن أكثرهم
من المناطق المحاذية لناحية تهامة ومدينة تمز كالصوفي الجليل أبو محمد سود بن
السكيت الذي كان سبب تحوله إلى التصوف حادثة وقعت له فمال إلى التصوف
واعترل الدنيا (وكانت الدنيا تأتيه من غير قصد وهو مطروح لها ومنغل عنها
ولا يأكل إلا مع أصحابه في المسجد توفي سنة ٣٣٦هـ (٣) .

القرن السادس

أما في القرن السادس فقد ظهر جماعة من الصوفية عرفوا بالفقه والشعر
شأنهم في كلا المجالين فانت تجد ترجماتهم في طبقات الفقهاء كما تجدونها في الكتب
التي أرخت للصوفية ولا تفسير لهذه الظاهرة سوى أن التصوف ظل متدرجا في

-
- (١) له ترجمات في عدة كتب منها المجلد لأبي نعيم ج ٤ ص ٢٣ وتاريخ صنعاء للرازي
ص ٣٦١ وصفة الصفوة لابن الجوزي ج ٢ ص ١٦٥ والخواص ص ١٦٣ .
(٢) الرازي : تاريخ صنعاء ص ٣٠٤ .
(٣) أنظر ترجمته في الجندی والخزرجي والخواص .

العلوم الإسلامية الأخرى ولم تعرف له تميزاً يذكر إلا عندما أصبح له مصلحة وشعاراته المتميز بها أصحابه عن سائر أهل المذاهب وذلك في القرن السابع على الرغم من أن الصوفية في خارج اليمن قد بدأوا ينفردون عن سواهم منذ القرن الثالث كما رأينا ذلك في العراق والشام ومصر، وعلى ذكر فأمامي عدة أسماء من أعلام التصوف في اليمن جمععت بين الفقه والتصوف من هؤلاء زيد بن عبد الله البغاف المتوفى سنة ٥١٤هـ^(١) ومنهم عبد الله بن يزيد القسيمي المتوفى ٥٢٦هـ^(٢) وعمر بن عبد الله السري^(٣) المتوفى سنة ٥٥٠ هـ يصفه الشرجي بقوله الفقيه العالم الصالح الزاهد الخ . . . ومن أشهر الصوفية في هذا القرن، الصوفي الكبير أبي العباس أحمد بن أبي الخير الصياد^(٤)، كان في بداية أمره رجلاً هامياً من جملة عوام مدينة زيد فبينما هو نائم في بعض الأوقات إذ أتاه آت فقال قم يا صياد فصل ومنذ ذلك الوقت أخذ يترقى في درجات التصوف وصحب الشيخ إبراهيم الفقل وله أخبار كثيرة في العبادة والزهد من ذلك ما ذكره الشرجي أنه حصلت له غيبة وهو ساجد في بعض البراري فأقام كذلك ساجداً لا يتحرك ولا يشعر بشيء فما أفاق الا وتلفت عنه إلى آخر ما ذكره عنه توفي سنة ٥٧٩ .

القرن السابع

في هذا القرن بلغ جماعة من صوفية اليمن كان لهم الأثر الجيد في إبراز التصوف وإظهار هويته من بين سائر الطوائف الأخرى في المجتمع اليمني وقد برز

(١) ترجمته في بن سرة ص ١١٩ والجندى والخواريص ص ١٢٢ والمقدسين ج ٤ ص ٤٨٠ .

(٢) الخواريص ص ٧٦ .

(٣) الخواريص ص ١٠٧ .

(٤) الخواريص ص ١٧ والجندى والخزرجي وتاريخ ثغر ٤ ومراة الجنان ج ٤ ص ٣٠٨ والتلميذ إبراهيم بن بشار كتابا في مناقبه .

فيه خلال هذه الفترة الصوفي الجليل علي بن عمر بن محمد الأهل وهو أول المتصور من أهل هذا البيت الشهير بنوابة^(١) وقد كان جده الأول قد انتقل من العراق إلى اليمن واستقر بها أما حفيده هذا فقد كان له شأن كبير وقد عني بأخباره كثير من المؤرخين^(٢) ومن رجال هذا القرن من الصوفية عيسى بن إقبال الهتار كان صاحب مقامات وكرامات كثيرة وله في الإصلاح الاجتماعي الفهم السليم توفي سنة ٦٠٦هـ^(٣) ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحكمي عرف بصاحب عواجه وقد رافقه في تصوفه الشيخ محمد بن حسين البجلي حتى عرفا بصاحبي عواجه . توفي سنة ٦١٧هـ^(٤) .

وبقية أعلام هذا القرن من الصوفية هم :

— الصوفي إبراهيم بن علي الفشلي اشتغل في أول أمره بطلب العلم ثم تحول إلى التصوف فائرت عنه كرامات وأقوال في التهذيب وهي يديه نبغ الصوفي الكبير الشيخ أحمد الصياد توفي ٦١٣هـ^(٥) .

(١) أنظر ما كتبناه حول هذه الأسرة في مجلة العرب العدد ١٦ لسنة ٦ ذى الحجة سنة ١٣٩٢ .

(٢) من هؤلاء حفيده محمد بن أحمد الأهل المتوفى سنة ١٢٩٨ له كتاب بنوان النهج الأهل في ترجمته للشيخ علي الأهل طبع في الهند سنة ١٢٨٧ ومنهم عبد الله المكي له كتاب في مناقبه مخطوط بجامعة الرياض وأنظر ترجمته في الجندی وطراز أعلام الزمن للخزرجي وتحفة الزمن للأهل والخواص ص ٨٠ وغيره وعند الخزرجي أن وفاته سنة ٦٩٠ (أنظر العقود الزمنية) ج ١ ص ٢٦٧ .

(٣) الخواص ١٠٩ وأنظر ترجمته في الجندی وطراز أعلام الزمن وتحفة الزمن .
(٤) الخواص وأنظر ترجمته في الجندی وطراز أعلام الزمن وتاريخ المعلم وطبوط (مخطوط)
(٥) الخواص ص ٦ وأنظر ترجمته في السكتب المشار إليها سابقاً .

— الشيخ جواهر بن عبد الله عاش بمدينة هدن وخلف شيخه سعد الحداد في مشيخة الصوفية وكان أميا متواضعا توفى سنة ٦٢٦هـ (١) .

— الشيخ الصوفي الكبير أبو الغيث بن جميل ويلقب شمس الشموس كان أصله من الموالي وقد خرج مع رفقة له لقطع الطريق فوكله أحدهم أن يراقب قافله قادمة فسمع ما تناقوا يقول له يا صاحب العين عليك العين فوقع هذا الكلام في نفسه وكف عن قطع الطريق وقصته هذه نهبه قصة الفضيل بن عياض ثم التحق بالشيخ علي بن أفلح وحكمه في التصوف وهو أشهر صوفية اليمن في ذلك الوقت وقد جمع أحد تلامذته كلامه في مجلد رغم أنه كان أميا لا يجيد القراءة ولا الكتابة يقول الشرجي عن هذا الكتاب (وهو مجموع في قدر مجلد لطيف وعندى نسخة منه) أما الأهل فيشك في نسبه إليه توفى بن جميل سنة ٦٥١هـ (٢) .

— الصوفي الكبير أحمد بن علوان كان أحد أولاد رجال الدولة وتحول إلى طريق التصوف كتب تأثير حادثة عجيبة وقعت له وهو من كبار مشاهير الصوفية في اليمن وإتباعه لا يزالون إلى الآن توفى سنة ٦٥٥ وله مصنفات كثيرة وديوان شعر (٣) .

أحمد بن الجعد الأيلاني عرف في تصوفه بكثرة الرياضة والعبادة توفى سنة ٦٩٠هـ تقريبا (٤) .

-
- (١) الخواص ٤٦ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٣٤٧ وتاريخ نجر عدن ٣٩٠ .
(٢) أنظر ترجمته في مرآة الجنان ج ٤ ص ١٣٦ والجندي (مخطوط) والعمود الأولوية ج ١ ص ١٠٧ .
(٣) الجندي (مخطوط) والعمود الأولوية ج ١ ص ١٦٠ والخواص ص ١٩ ومرآة الجنان ج ٤ ص ٢٥٧ والتصوف في تهامة ص ٦٩ .
(٤) الخواص ص ٢٠١ .

أبو العباس أحمد بن موسى بن هجيل يصفه الفرجي بقوله (القطب العارف) وأطنب في ترجمته وإليه تنسب قرية بيت الفقيه لأنه كان من الصوفية . وله مؤلفات في الفقه توفي سنة ٦٩٦ وعند الخرجي سنة ٦٩٠ (١) .

وهؤلاء هم مشاهير القرن السابع الهجري من صوفية اليمن وهناك غيرهم من أعلام هذا القرن سيجدهم الباحث في كتاب الفرجي وغيره من كتب التراجم اليمنية .

القرن الثامن

ظهر في هذا القرن جمع غفير من صوفية اليمن حيث اكتملت فيه كل مقومات التصوف ولم يعد الصوفية في هذا القرن متأثرين بعادات زملائهم من الفقهاء بل منهم من لم يكتب بمجرد الزهد والعبادة فدخل في مواجيد والمهمات صوفية تقربه إلى الحقل الفلسفي الذي عرفناه عند الحلّاج وابن عربي وإضرأهما . وسنكتفي هنا بذكر ستة أشخاص فقط لكثرة هؤلاء وتعدد طرقهم منهم .

— أحمد بن عمر الزبلي العقيل عرف بساطان العارفين واشتغل بالتصوف وله فيه مصنف بعنوان ثمر الحقيقة ومرشد السالكين إلى أوضح طريقة (٢) توفي سنة (٧٠٤) (٣) .

— أبو بكر بن محمد بن يعقوب بن أبي حريّة توفي سنة ٧١٤ (٤) .

(١) الجندي مخطوط والمقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٥٧ والمحواص ص ١٣ .

(٢) مخطوط بالمكتبة الاصفية بالهند .

(٣) الجندي والمقود اللؤلؤية ج ١ ص ٣٦٥ والمحواص ص ٢٢ .

(٤) تحفة الزمن والمحواص ١٧٣ ولغاز أعلام الزمن وتاريخ نجر عدن ص ٣٠ .

— أبو عبد الله محمد بن عمر بن حبيب كان من كبار المتصوفة فى اليمن وله
مجموع كلام راق فى الحقائق الصوفية وصفه ابن الامل بقوله (فيه مقالات
مفيدة وفى بعضها شيء من الشطح) وهو مجموع فى مجلد . توفى سنة ٧١٨ (١) .

— علي بن عبد الله الطواشى يصفه البافى بقوله أنه من الصوفية الذين
جمعوا بين الحقيقة والشريعة (توسع الشرحى فى ترجمته) توفى سنة ٧٤٨ (٢) .

— عبد الله بن أسعد البافى هو الصوفى اليمنى الوحيد الذى سارت شهرته
خارج اليمن وانتشرت كتبه فى مكة ومصر والشام عاش فى عدن وانتقل إلى مكة
مده ثم ارتحل إلى مصر والشام ووصفه ابن بطوطة فى رحلته توفى سنة ٧٦٨ (٣) .

— طلحة بن عيسى بن ابراهيم الحنابل ذكره الفرغى كرامات كثيرة ويقول
أن كراماته بهر لا ساحل له ومن مصنفاته فى التصوف كتاب (الطائفة فى اجتلا
هروس المعارف) توفى سنة ٧٨ (٤) .

(١) كفا ضبط وفاته الشرحى وعند الخزرجى أنها سنة ٧٢٠ (وانظر ترجمته فى طراز
أعلام زمن وثقة الزمن والخواس ١١٨) .

(٢) مرآة الجنان ج ٤ ص ٣١٠ وثقة الزمن والخواس ٤٣ .
(٣) له ترجمات فى عدة كتب منها رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٤٧ وطبقات الشافعية
لسبك ج ٦ ص ٢٠٣ والاسنوى فى طبقات الشافعية ج ٢ ص ٧٢ والعقد الثمين ج ٥
ص ١٠٤ والدرر السكينة ج ٢ ص ٢٤٣٧ وغربال الزمان للامرى معطوط والامل
معه الزمن وتاريخ ثمرى ص ١٠٩ وطبقات الخواس ص ٦٧ والبدر الطالع ج ١ ص ٣٨٧
والتصوف الاسلامى لركى مبارك ج ٢ ص ٢٣٠ وأفرده بالترجمة أبوبكر بن محمد بن سلامة
الموزنى المتوفى سنة ٧٩٠ فى مؤلف بعنوان المسلك الارشد فى مناقب الشيخ عبد الله بن أسعد
(انظر شف الثنون ج ٢ ص ١٨٤٥) .

(٤) طراز اعلام الزمان وثقة الزمن والخواس ٦٢ .

وبمثل هذا القرن فضوج التصوف في اليمن واكتمال مذهبه النظرى والعمل.

في القرن التاسع

وهذا القرن هو آخر صورة في اكتمال الصوفية مذهبهم بعد أن قوى نفوذ رجاله وأصبحوا يكونون سلطة لها نفوذها بجانب سلطة الدولة وسنكتفي هنا بالاشارة إلى بعض منهم .

— أبو بكر بن محمد السراج كان من كبار شعراء الصوفية له ديوان شعر مجموع توفي سنة ٨٠٠ هـ (١) .

— أبو بكر بن محمد بن حسان المضرى من الصوفية العاملين اضرب عن الدنيا واخذ يتكسب بعمل يده وله بعض الكرامات أوردتها الشرحى في كتابه توفي سنة ٨٠٢ هـ (٢) .

— اسماعيل بن أبى بكر الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ كان شيخ الصوفية في عصره (٣) .

— أبو محمد عبدالله بن أبى بكر الناشرى المتوفى سنة ٨٢١ كان كبير العبادة والزهد (٤) .

— عبدالله بن عبد الرحمن بن عثمان المقرئ صاحب الصوفى أحمد

(١) الخواص ١٧٥ وديوانه مخطوط بضمير موت .

(٢) نقعة الزمن الخواص ١٧٦

(٣) سنعود إلى ترجمته في موضوع آخر من الكتاب

(٤) الخواص ص ٧٥ - الضوء اللامع ج ٥ ص ٥٤

الردىنى وكانت لهما كرامات شهده أورد منها الشرحى فى كتابه توفى سنة (٨٣٠) (١) .

القرن العاشر

يمثل هذا القرن آخر مرحلة بلغها التصرف اليمنى فى تطوره وبعد ذلك اخذت تطفى عليه العوامل المتناقضة من ازدهار وسقوط ولعل ابرز علامات ازدهاره تأتى فى اشخاص رجاله الذين برزوا فى هذه المرحلة ومنهم جماعة من صوفية حضرموت التى سنجده التصرف قد نشط فيها خلال هذه المرحلة واخذت تواصل الحفاظ عليه حتى عصرنا الحديث ومن رجال هذه الفترة :

— الشيخ أبو بكر بن عبدالله العبدروس . كان من اكابر الاولياء واشتهر بالكرم فكان يذبح فى سماطه فى كل يوم فى رمضان نحو ثلاثين كبشا وعندما توفى بلغت ديونه مائتى ألف دينار وكان يحسن اليه سلاطين الدولة الطاهرية وبعض امراء الصرمال توفى سنة ٩١٤هـ (٢) .

— معروف بن عبدالله باجمال عرف بتربية المريدين وكان له جاه عظيم وأوذى من قبل سلطان بلده لامل الناس اليه توفى سنة ٩٦٩هـ (٣) .

(١) الخوامس ص ٧٣

(٢) الف فى مناقبه الشيخ عبد الرحمن العبدروس المتوفى سنة ١١٩٣ كتابا فى مناقبه بنوان (الفتح المبين بأفئاس العبدروس فخر الدين وترجمته فى المشرح الروى ج ٢ ص ٣٤ وشرح العينية ص ٦٥٩

(٣) ألف فى مناقبه الشيخ محمد بن عبد الرحمن باجمال المتوفى سنة ١٠١٩ كتابا بنوان مواهب البر الرؤوف فى مناقب الشيخ معروف مخطوط وانظر ترجمته فى كتاب النور السافر ص ٢٧٣ .

— الشيخ أبو بكر بن سالم له مشاركات فى علوم التصوف وقصده الناس
لزياره من أماكن بعيدة توفى سنة ٩٩٢هـ (١).

فى القرون الاخيره

كثر الصوفيه بعد القرن العاشر واصبحنا نخدمهم فى شتى طوائف المجتمع كما
نخدمهم فى المدينه والريف ولا أغالى إذا قلت أن نوعه التصرف تنقلت حتى عند
جمهور الفقهاء وغدا من المنعذر التمييز بين كل من رسم بالفقه وداير العلوم
الاخرى ومن عرف بالتصوف واعلم ذلك يعود فى أساسه إلى عدم وجود التمييز
بين تخصصات العلوم الاسلاميه واتجاهاتها وهذا بدوره عائد إلى ركود الثقافه
فى تلك العصور وطغيان الجهل على الناس وعلى الرغم من هذه الكثره الطاغيه
فسأكتفى بهذا ذكر شخصيتين من رجالات التصوف فى هذه القرون الاخيره .

أولهما : الصوفى الكبير حاتم بن أحمد الاهل الذى غلب عليه طابع التصوف
مع تمكنه من حده علوم وكان يقول الشعر الحينى والفصيح وله ديوان شعر كبير
توفى سنة ١٠١٣هـ (٢).

ثانيهما : عبدالله بن علوى الحداد من أهل حجر موت برع فى التصوف
والكتابه على أسلوب الغزالي وله مؤلفات فى التصوف مطبوعه توفى سنة
١١٣٢هـ (٣).

-
- (١) هناك أكثر من كتاب مستقل فى ترجمته اهل آخرها كتاب 'الجواهر فى مناقب
تاج الأكابر لحفيده السيد عبد الله بن أحمد الهداوى المطبوع فى القاهرة أخيرا
(٢) الف فى مناقب الشيخ عبد القادر العبدروس كتابا فى مناقب بعنوان (الروض الباسم
من مناقب الشيخ حاتم .) مخطوط . بالمكتب الهندى بلندن ٦٣٨ ل
(٣) وضع فى مناقب كتابا بعنوان غايه القصد والمراد فى مناقب الشيخ عبد الله الحداد
للشيخ محمد بن زين بن سميح مخطوط (انظر مراجع تاريخ اليمن ص ٢٣٦

التصوف في نهامة

أغلب الذين عرفتهم اليمن من ٩ فيه عاشوا في نهامة حيث كانت مله المنطقه من البلاد المحببة لهم فقد وجدوا فيها الأمن والهدوء مؤثرين العزلة والمباده في سراحها وبعبدا هن ضجيج الحياه وقلقل الحكام وقد كان أحد صوفيتهم — وهو الشيخ أحمد الصياد — (يثنى كثيرا على السراحل ويرى أنها مورد جادا لله الصالحين) (١) .

التصوف في الجبال

وإذا كان التصوف قد انتشر في المناطق السهلية من اليمن فانه قد قل في جباله حتى أصبح من الندرة بحيث يعد رجاله بالأصابع ولاسبب لذلك سوى أن بعض المذاهب التي عرفها اليمن لا ترحب بالتصوف على اعتبار أنه دخيل على الاسلام . وكان المذهب الزيدي بما عرف به من نظره عقلانية تحررية قد أدان الصوفية في كثير من شطحاتهم وشعاراتهم البعيدة عن الاسلام وهو في ذلك يتفق مع المذهب الحنبلي وقد الحنا في فصل قادم إلى أن الائمة ما كانوا يرحبون بالتصوف لاعتبارات أشرنا إليها هناك .

فدس هذا وذاك عاملين رئيسيين في اخفاف التصوف عند أهل الجبال حتى أن بعض الصوفية يرى انهم لا يجهزون الاسرار والكرامات (٢) . أما القبل في القرن الحادى عشر فهدرج عدم انتشار التصوف (في جبال اليمن إلى الالام القائل بها) (٣) .

(١) الخواص ص ١٨ .

(٢) يحيى بن المهدي : صله الاخوان (مخطوط)

(٣) القبيل : العلم الشامخ ص ٣٨١ .

وإذا كان هذا هو حال الناحية الجبلية مع الصوفية لا يجب أن نطمع بوجود أعداد وفيرة منهم وكل من برز فيها لا يعتمدى سلوكه الطريقة السنية التي سار عليها زهاد المسلمين وعبادهم ولم يعرف عنهم أدنى ميل إلى التصوف الفلسفى كما هو الحال عند بعض صوفية التهايم والمناطق اليمنية السفلى وحضر موت .

على أن المجدد الحقيقى للتصوف فى الجبال هو الشيخ الخليل إبراهيم بن أحمد الكينى الذى جمع فى تصوفه بين الزهد والعبادة وقد وصفه الشوكانى بقوله (انزل عن الناس واتجمع عن المخالطة لهم وعكف على معالجة قلبه عن مرض حب الدنيا وصام الابد ألا العيدين والتشريق وأحياء ليله بالقيام لمناجاة ربه) توفى سنة ٧٩٣ (١) .

وعلى يد هذا الشيخ الكبير انشر التصوف فى مناطق صعدة وصنعاء وذمار وغيرها وقد ذكر مؤرخ سيرته جماعة من مریدیة فى تلك المناطق أمثال .

— قاسم بن عمر الجوهلى . خرج من ماله وأهله ولبس التصوف وجاهد نفسه وكان من أحب الناس إلى الكينى وهو أحد أوصيائه من بعده (٢) .

— يحيى بن حمزة البزم الصنعانى يقول جامع سيرة الكينى كان فاضلا عابدا زاهدا ترك الدنيا مع الغنى واقتدى بشيخه إبراهيم الكينى فى لباسه وزاده (٣) .

— حسن بن موسى بن حسن من هجرة الاوطان ترك زينة الدنيا واقتدى

(١) أنظر ترجمته فى كتاب (صلة الاخوان فى حلية بركة أهل الزمان) (مخطوط) لتلميذه يحيى بن المهدي ومطعم البدور والواقى بوفيات الأعيان للضمدي — والبدر الطالع ج ١ ص ٤ وائمة السن لزيارة ص ٢٧٨ ونشر العرف ج ١ ص ٢٨٧ وغير هذه الكتب .

(٢) يحيى بن المهدي : صلة الاخوان (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق : (مخطوط) .

— بعينه إبراهيم الكينى وكان يحى الليل ويصوم النهار وكان زميلا لشيخه
فى الحضر والسفر .

« التصوف فى حضر موت »

من المؤرخين من يرجع أول بادرة للتصوف فى حضر موت إلى شخص
هاش فى القرن السابع الهجرى هو الشيخ محمد بن على الشهير بالفقيه المقدم المتوفى
سنة ٦٥٣ (١) .

ويقول الشلى شارحا هذه النقطة (أن أصل حضر موت كانوا مشتغلين
بالمولم الفقيه وجمع الأحاديث النبوية ولم يكن فيهم من يعرف طريق الصوفية
ولا من يكشف لمصطلحاتهم السنية فظهر الفقيه المقدم وعلومها ونشر فى تلك
النواحي أعلامها فأخذ عنه الجم الغفير وتخرج (العدد الكبير (٢) وقد شهد
عصر الفقيه المقدم نهاطا كبير فى التصوف حتى أن أحد صوفية العالم الإسلامى
المشاهير وهو الشيخ أبو مدين المغربى قد بعث إلى حضر موت مندوبا من قبله
ينشر الطريقة المخيرية فى تلك الأصقاع (٣) وهذا وحده كافيا على مكانة حضر
موت عند الصوفية فى ذلك الوقت .

وهن طريق الفقيه المقدم انتشر التصوف فى حضر موت وقد نبغ على يديه

(١) أنظر ترجمته فى بعض الكتب المعاصرة ككتاب تاريخ حضرموت للحماد ج ٢
وكتاب ادوار التاريخ الحضرمى للشاطرى ج ٢ ص ٩١ وشرح العينية ص ٦٠٢ والفكر
والثقافة فى التاريخ الحضرمى لبازير ص ١٢٦ ومن القداى العلى فى المشروع الروى ج ٢
ص ١٧٢ وللشيخ على بن أبى بكر السقاى المتوفى سنة ٧٩٥ كتابا فى مناقبة بنوان
الأنموذج اللطيف بآخر كتاب البرقة المشيقة ص ٢٠١ — ٢٢٦

(١) الشلى : المشروع الروى فى مناقبة بنى علوى ج

(٢) أنظر الشاطرى ادوار التاريخ الحضرمى

جميع كبير من الصوفية أمثال الشيخ عبد الله بن محمد باعباد^(١) المتوفى سنة ٦٨٧ هـ وعبد الله بن إبراهيم باقشهر وسعيد بن عمر بالحاف وسعد بن عبد الله الكدر وغيرهم كثير وظل جبل الصوفية في حضر موت يتابع حتى عصرنا الحديث حيث عرفنا منهم جماعة من الأقطاب أمثال عبد روس بن عمر الحبشي المتوفى سنة ١٣١٤ هـ وعلى بن محمد الحبشي ١٣٣٤ هـ وطوى بن عبد الرحمن بن شهاب وغيرهم كثير وعلى الرغم من كثرة وجود الاعلام والمجاهد في الفقه والتصوف فإنه لم يحدث هناك شقاق كبير بين (الزعتين الفقيه والصوفية) وهم ما بينهما من خلاف فقد ظلنا على وثام في حضر موت بل أن كثرا من فقهاء حضر موت اعتقوا الآراء الصوفية الممتدلة دون أن يروا فيها ما يصطدم مع نصوص ظاهر الشريعة^(٢).

«شعائر الصوفية»

لوية الشيخة الصوفية

بعد اكتمال التصوف في اليمن قواعد الاساسية وقبالة كل شعب مستقل وأبناءه بمن لنفسه نظاما وتقاليده خاصة به لا يواجمه فيها أحد من إبداع الطوائف الأخرى ومنذ القرن السابع والتصوف في اليمن يحاول أن ينظم نفسه في هيكل دقيق يتكون من الأصل والفروع بحيث لا يتعدى كل فرد فيه مكانه المنصوص له فالشيخ الذي هو أعلى درجة في هذا التنظيم يديه الخواص من جلسائه ثم مائمه المريدين من الطلبة والاتباع.

(٣) انظر ترجمته في طبقات الخواص ص ٧٠ ولا جد احفاده كتاب في مناقبه بعنوان المنهج القويم (مخطوط)

(٤) سعيد باوزير : الفكر والثقافة في التاريخ الحضري ص ١٠٧

هل أن تولى المشيخة الصوفية لا يأتي في أكثر الأحيان اعتباطاً أو بدافع ذاتي وإنما يكون غالباً بترشيح يقوم به كبار الصوفية في ذلك الوقت للشيخ المرشح للمشيخة وقد ذكر المزجاجي صورة من تلك الطريقة التي تتبع في ترشيح الشيخ — وهي في الغالب لا ترتبط بكيفية واحدة — من ذلك أنه عندما كان تولية الشيخ لإسماعيل الجبرتي مشيخة الصوفية وذلك بعد أن كثر إتباعه واشتهر أمره اجتمع الصوفي الكبير رضى الدين أبو بكر سلامة الموزعي بالشيخ أبي بكر بن محمد السراج صاحب قريه للسلامة فأشار عليه بأن ينصب الجبرتي فقبل منه ذلك وانتظر حتى جاء وقت السماع فقام في تلامذته وألبسه همامته وقال لهم قد نصبته عليكم شيخاً (١) .

وهناك صور أخرى لتولى المشيخات الصوفية وربما أوعز بعض الشيوخ لأحد تلامذته بتولى المشيخة من بعده وقد يقرن ذلك بمحادثة غريبة كما هو الحال في تولى الصوفي جوهر بن عبد الله المتوفى سنة ٦٢٦ هـ لمشيخة الصوفية فقد ذكر كل من ترجم له أن شيخه الولي العلامة سعد الحداد قد أوصى بتولى المشيخة بعد وفاته إلا أنه قيد ذلك بشرط عجيب هو أنه سينزل طائر يقع على رأس من يأخذ هذا المنصب فاتفق أن تولى هذا الطائر على الشيخ جوهر (فقام إليه الفقراء ليقعدوه موضع المشيخة فبكى وقال أين أنا من هذا أنا رجل عامي لا أصلح لذلك فقالوا قد أقامك الحق في هذا المقام فقال إن كان ولا بد فأملوني ثلاثة أيام أسمى في رد حقوق الناس ثم جالس بعد ذلك في منصب المشيخة (٢) .

وقد يعين الشيخ من يخلفه وهو لا يزال حياً فقد ذكر الشيخ أحمد الرداد أن الجبرتي عينه في المشيخة وهو هل قيد الحياة يقول (إن سيدى إسماعيل

(١) المزجاجي : وهداية السالك (مخطوط) .

(٢) الفرجى طبقات الخوارج ص ٤٦ .

الجري قد نصبني شيخا وأذن لي في الالباس والنصب وذلك في ليلة السبت ٢٢ من شعبان سنة ٨٠٢ بمسجده المعروف بزبيد بمحضر جمع من الشيوخ والفقراء والمريدين^(١) فيكون تنصيب ابن الرداد للمشيخة قبل وفاة شيخه بأربع سنوات . وفي الغالب يكون تولي المشيخة وراثياً فيخلف الابن والده وهكذا على أن يقوم الابن بكافة الاعمال التي يمارسها الاب وهؤلاء هم الذين تسموا فيما بعد بالمناصب فقد ذكر الجندي والاهل عدد كبير من هذه المنصبات كنصبة بيت سود بن السكيت^(٢) ومنصب بني المكش^(٣) ومنصب بني الحكم^(٤) ومن أشهر المناصب الصوفية في اليمن والتي لا تزال قائمة إلى الآن منصب بني الاهل .

وقد احتفظ لنا الأدب اليمني بصور من احتفالات الهمراء في تولي أحد الصوفية ذلك المنصب الوارثي كقول الشاعر ابن زنقل مهنئاً الشيخ أحمد بن عمر الاهل بتولي منصب المشيخة الأهلية وكان قد احتفل الصوفية بتولي هذا المنصب بأن عملوا حفلة سماع كبرى يقول ابن زنقل^(٥) :

صب بكاضمة شجته أربع	فدموه في الخلد منه أربع
راعت في الغادين رائحة النوى	ففؤاده لها تأوه مروع
يامسلمين العيس تنفع في البرى	حيننا وحيننا في الأزيمة تنزع
قولوا لأبناء الروايا بلغوا	من لم يكن الآن حاضر يسمع

(١) أبو بكر العبدروس الجزء اللطيف في التحكيم الشريف ص ٢٢ :

(٢) الجندي : السلوك مخطوط :

(٣) و (٤) : الأهل تحفة الزمن مخطوط .

(٥) أنظر ترجمته في طراز أعلام الزمن للخزرجي . وهو عماد بن إبراهيم بن زهل مدح جماعة من مشايخ العرب ويقول لم أقف على ديوانه . .

أهل الطريقة والحقيقة أجمعوا عزموا في الرأي الهواب واجمعوا
أن ينصبوا ملك المناصب تبماً إذ ليس في كل المناصب تبع
ويتوجوه بتاج أهدل جده إذ ذاك بالورع الصريح مرصع
ويبرقهوه ببرقع من هلمه لينظر العلماء وهو مبرقع

الزوايا والرباط

على أن المبخنة مقر خاص عرف عند العوفية باسم (الرباط) أو
« الزاوية » يكون مأوى للمريدين ومن يريد أداء بعض العبادات وسنجد هذه
الربط قد كثرت في القرن التاسع وما بعده منها :

١ — زاوية الشيخ أبي الفيث بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ بلغ عدد من فيها
من المريدين مائة طالب (١) .

٢ — زاوية الشيخ على الأهدل (القرن السابع) مجموع من فيها نحو ٥٠٠
طالب (٢) .

٣ — رباط الشيخ علي بن أفلاح (القرن السابع) في مدينة زبيد (٣) .
٤ — زاوية الشيخ مفتاح بن عبد الله الأسدي (القرن السابع) مجموع
من فيها ٣٠٠ طالب (٤) .

٥ — رباط الشيخ محمد بن عمر النهارى المتوفى سنة ٧٤٧ : يقع في ناحية
ريجة (٥) ،

(١) التصوف في تهامه ص ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٣) الشرجى : طبقات الغواص ص ٨٧ .

(٤) وطبوط . تآريه الملم وطبوط (مخطوط) وطبقات الغواص ص ١٥٦ .

(٥) الشرجى : طبقات الغواص ص ١٢٦ .

٦ - رباط الشيخ اسماعيل الجبرتي المتوفى سنة ٨٦ : يقع في مدينة هون
وقد ذكر تلميذه المزجاجي جماعة من الذين تولوا مشيخته منهم الشيخ الصديق
الزلامي والشيخ أحمد بن محمد الميميدى (١) .

٧ - زاوية الشيخ أبي بكر بن محمد العسلي المتوفى ٨٤٥ بمدينة زبيد
ويقول الشرجي أنه أدرك نقيب الفقراء (الطلبة) بها وكان خيراً صالحاً اسمه
محمد الحكي (٢) .

٨ - زاوية الشيخ أبي بكر بن محمد بن سلامة المتوفى سنة ٨٥٤ له زاوية
بمدينة موزم (٣) . وغير هذه الزوايا والأربطة كثير جداً (٤) . ولعل أشهرها
في عصرنا الحديث رباط مدينة تريم (٥) ورباط البيضاء تحت إشراف السيد
محمد المدار .

« خرفة التصوف »

ومن مهام الشيخ الرئيسية بجانب الإشراف على أوقاف الزاوية وتسيير
أمورها القيام بالباس الخرفة الصوفية والتحكيم لمن أراد ذلك وتنظيم حفلات
السماع الذي يقيمه المريدون في الزاوية أو في بعض المساجد وسنقف هنا عند
هذين الأمرين :

(١) للمزجاجي : هداية السالك والخواص ص ٤٠

(٢) المصدر السابق ١٨٣

(٣) المصدر السابق ص ١٧٦

(٤) للتوسع في معرفة هذه الزوايا والربط يراجع كتاب تحفة الزمن للأهل وطبقات -
الخواص .

(٥) وضم في تاريخه أحمد الباحثين المعاصرين وهو الباحث عبد الله بن حسن بلفقيه
كتاباً بعنوان تذكرة المحتاط في تاريخ الرباط (مطبوع)

فالباس الخرقه الصوفية من العادات الاصلية لصوفية اليمن وغيرهم وهم يرجعون سندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم (١) ويجهلون من البدايات الاولى لطالب النصف ومن الفقهاء من أنكر عليهم سندها إلى الرسول إلا أن الصوفية يقولون في الرد عليهم أن لبس الخرقه إذا فرضنا عدم صحة نسبته إلى الرسول فإنه (ليس بحرام ولا مكروه وأن البدعة في حقيقتها ليست بمستكره على الإطلاق) فقد أحدث الفقهاء لبس الطيلسان على العمامة وقالوا لبس بحرام ولا مكروه (٢).

وقد أفرد الخرقه الصوفية كثير من صوفية اليمن فوضعوا في سندها وتاريخها مؤلفات جديدة (٣) مما يدل على مكانتها عندهم ؛ وهم يفتخرون على من سواهم بأن بعض الفقهاء المحبدين لتعاليمهم قد شارك في لبس الخرقه كالفقيه المحدث

(١) عيبروس الحبشى : عقود الآل ص ٢٤٠

(٢) العيبروس : الجزء اللطيف ص ٨

(٣) من الكتب التي وضعها صوفية اليمن في الخرقه الصوفية وسندها وآدابها الكتب الآتية :

١ — أحمد بن أبي بكر الرداد المتوفى ٨٢١ : تلخيص القواعد الوفية في أصل

حكم خرقه الصوفية (إيضاح المكذوب ذيل كشف الظنون لإسماعيل باشا)

٢ — علي بن أبي بكر السقايف المتوفى ٨٩٥ البرقة المشيخة في ذكر الخرقه

الائفة طبع في القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .

٣ — أبو بكر بن عبد الله العيبروس المتوفى سنة ٩١٤ : الجزء اللطيف

في التعكيم الشريف طبع في القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ .

ووضع العلامة القوي محمد مرتضى الزبيدي المتوفى ١٢٠٥ مؤلفا كبيرا لشيخه عبد الرحمن

العيبروس المتوفى ١١٩٣ في الخرقه الصوفية عند أهل اليمن بعنوان (النفعة القدوسية

بواسطة البضعة الميبروسية) .

برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي المتوفى سنة ٧٥٢ والفقيه نفيس الدين
سليمان إبراهيم العلوي المتوفى سنة ٨٢٥ والفقيه محمد بن عبد الرحمن السراج
وغيرهم (١) .

وعند الصوفية أن لبس الخرقة دليل على المتابعة لرسول الله (ص) ومنهم
من قال أنها ترمز إلى الرابطة بين الشيخ وتلميذه (٢) وقد قسموا الخرق من حيث
مدلولها الصوفي إلى ثلاثة أنواع .

الأولى : خرقة الارادة لا يتعاطاها إلا من له إرادة صادقة (٣) .

الثانية : خرقة التبرك وهي مشاع للخاص والعام يلبسها كل من أراد التبرك
بالصوفية (٤) .

الثالثة : خرقة التشبه تلبس بقصد التشبه بالصوفية وحكمها حكم النوع
الثاني (٥) .

وهكذا يعضى الصوفية في فلسفة خرقتهم وهي في الغالب تكون من
طابقه الشيخ أو قميصه أو العمامة أو الطباشان أو غير ذلك (فيجوز أن يسمى
جميع الملابس من الأزار والقميص والاردية والجباب والعمائم والاقبيصة
وما فوق ذلك ومادون كلها خرق (٥) .

وهيكون لباس الشيخ لمريده في حفل بهيج يقيمه الصوفية له فقد ذكر
الميدروس راويا عن نفسه كيفية الباسه الخرقة للصوفية بأن ذلك كان (بحضور

(١) المرجعي : هداية السالك (مخطوط)

(٢) الأهدل النفس اليماني وأجازة القضاء بنى الشوكاني (مخطوط) .

(٣) الميروس : الجزؤ اللطيف ص ٥ .

(٤) ، (٥) ، (٦) : المصدر السابق ١١ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٧ .

عظيم من كافة المشايخ والفقراء والعلماء وكان ذلك بتاريخ شهر رجب سنة ٥٨٦٥ (١) .

ويتبع الالباس عادة قيام الشيخ بتحكيم التلميذ وتلقيه الذكر فاما التحكيم فهو عبارة عن أشعار تتلى لشيخه بمرافقة على التلمذة عليه وقد شبه بعضهم بالمباينة عند تولي الخلافة (٢) وهناك صور كثيرة لهذا التحكيم عند الصوفية منها أن يضع المتحكم يده في يد الشيخ ثم يقرأ الفاتحة وأية من آيات الرجاء الواردة في القرآن ويقول الشيخ بعد ذلك رضيت بي شيخا ومؤدبا يدهوك إلى ما دعاه الله ورسوله فيقول التلميذ رضيت (٣) ثم يقرأ عليه بعض الآيات والادعية .

(أما التلقين فهو أن يضع الشيخ يده في يد المريد ويأمره بسماع الذكر معه مع تغميض العينين ثم يقول بعده . ثم يقول الشيخ بعد الاستغفار والدعاء لا إله إلا الله ثلاثا فيقول المريد كما قال الشيخ (٤) .

« السماع عند صوفية اليمن »

كان السماع في أول الأمر عبارة عن تجمعات للصوفية تتلى خلالها مجموعة من الأذكار والأوراد يلقيها الطلبة بصوت واحد مرتل ثم أخذ يتطور قليلا فأدخل إليه القصائد المنظومة ثم استعملت بعض الآلات الموسيقية كأطبل والناي إلى أن تحول إلى غناء وموسيقى ورقص .

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) هيدورس الحبشي : عقود اللال ص ٩٩ .

وقد أقام صوفية اليمن السماع منذ القرن السابع ومن أوائلهم الذين مارسوا هذا النوع من الموسيقى الصوفي الكبير أبو الفيث بن جميل^(١) والشيخ أحمد بن هارون^(٢) ومحمد بن أبي بكر العواجي^(٣) وكان الشيخ محمد بن عيسى الزيلعي يعمل السماع (في كل قرية من قرى وادي مور وسردد^(٤)) وفي أماكن أخرى وربما ظل يردد بيت شعر واحد طيلة السماع كله .

أما في القرن الثامن فقد انتعش السماع على يد الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي بعد أن أدخل عليه أشياء جديدة وربما أقام السماع في ليله بأكملها^(٥) . ويحضر سماعه في بعض الأحيان سلاطين الدولة الرسولية أمثال الملك المجاهد رالملة الأنصلي والملك الأشرف^(٦) ويقول الاملد أن الجبرتي أدخل على السماع بعض الآلات الموسيقية كالدف والشبابة والعود وربما حصل في بعض ليالي السماع (من الاعلان بالزينة وخروج النساء وحضورهن الأمر العظيم)^(٧) .

وكان الجبرتي أول من أقام السماع الأسر احتفالاً بمناسباتهم العائلية^(٨) وذلك بقصد إدخال السرور عليهم حتى أن السماع أصبح بعد ذلك نوعاً من الترفيه وكادت أن تختفي قداسته الصوفية التي يهدف من ورائها ذكر الله والخفية

(١) اليافعي : روض الرياحين ص ٢٧٨ .

(٢) و (٣) المصدر السابق (نفس الصفحة) .

(٤) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .

(٥) المصدر السابق (مخطوط) .

(٦) المصدر السابق (مخطوط) .

(٧) الاملد تحفة الزمن (مخطوط) .

(٨) المزجاجي : المصدر السابق (مخطوط) .

له ومع ذلك فإن الجبرتي هو القائل (ان السماع حرام على من لا يعرف معانيه^(١)) ويقول (السماع لمن فتح عليه في التصوف والا فهو حرام على كل شخص^(٢)) وقد حجب إلى نفوس تلامذته تذوق السماع والمشاركة في حفلاته فكان له أنصاره الكثيرون . ومنهم من يذوب فيه وينفعل به حتى يؤدي به ذلك إلى الوفاء كما يذكرون عن أحد تلامذة الشيخ الجبرتي وهو الصوفي محمد بن هافع (وكان قد حضر سماعا للفقراء فلما غنى المغنى في السماع دخله شيء من الوجد فقام من موضعه وقعد عند المغنى ساعة ثم رمى بنفسه على المغنى واعتنقه ساعة ثم فترت قواه ومات)^(٣) .

ومنهم من يرمى بنفسه من مكان مرتفع أثناء السماع فلا يصاب بأذى كالشيخ عبد الله بن محمد العفيف المعروف بالسن^(٤) وغيرهما كثير فيدل كل ذلك على الأثر القوي الذي تركه السماع في نفوس تلامذة الشيخ إسماعيل الجبرتي .

« المؤثرات الخارجية في تكوين التصوف باليمن »

سنجد كل تلك التقاليد والمعادن التي مارسها صوفية اليمن من الأمور المتبعة عند سائر الطوائف الصوفية في أنحاء العالم الإسلامي ولم يهذوا عنهم في قليل أو كثير .

ومع ذلك فإننا إذا أردنا أن نتبين للتصوف في اليمن وجهة خاصة به فسنجد ما في قيام بعض الطرق المحلية التي نشأت فيه كالطريقة الإهدلية والطريقة الجبرتية والطريقة الحدادية والبيدروسية^(٥) وغيرها إلا أن كل هذه الطرق لا تمدوا أن

(١) و (٢) الشرجي : طبقات الخوارج ١٨ .

(٣) الخزرجي : العقود الوثائق ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٤) الشرجي : طبقات الخوارج ص ١٠٦ .

(٥) أورد هذه الأسماء الزبيدي في كتابه (النفع القدوسية بواسطة البضعة البيدروسية وانظر أيضا كتاب (السط الحيد) لآحمد بن محمد القشاشي طبع في الهند .

تكون أسماء على غير مسميات إذا الكل من هذه الطرق يفترف من المنيع
العام للتصوف الاسلامى عموما ولم نجد أحدا منهم يشق لنفسه منهجا
خاصا به .

وحتى أولئك الذين وضعوا لأنفسهم طرقا مستقلة نجدهم يعترفون بتبعيتهم
للفرق الصوفية الكبرى التى شهدت حواضر العالم الاسلامى فى بغداد ومصر
والمغرب وهذه الفرق سنحصرها فى ستة طرق صوفية كان لها الأثر الكبير على
التصوف فى اليمن .

١ — الطريقة القادرية : وتنسب إلى الشيخ الكبير عبد القادر بن موسى
الجيلانى المتوفى ٥٦١ هـ وقد تأثر بهذه الطريقة جمع كبير من صوفية اليمن كالشيخ
إبراهيم بن محمد باهرمز^(١) والشيخ أحمد بن يحيى المساوى^(٢) المتوفى سنة
٨٤١ هـ والشيخ إسماعيل الجبرتى^(٣) والشيخ أبى بكر بن أبى حربه والشيخ
عبد الله بن عقيل بأعباد^(٤) والشيخ أحمد بن الجعد^(٥) وغيرهم كثير جدا ولعل
أول لقاء لليمنيين بالطريقة القادرية يعود إلى عصر الشيخ عبد القادر الجيلانى
حيث اجتمع به أثنان من صوفية اليمن هما الشيخ على بن عبد الرحمن الحداد
والشيخ عبد الله الأسدى فأما الأول فقد التقى به صدقة عند الكعبة المشرفة (فلبس
منه الخرقة الصوفية عند مقام إبراهيم الخليل سنة ٥٦١ هـ^(٦) وأما الثانى : فانه لما
سمع أن الشيخ عبد القادر الجيلانى سيصل من العراق إلى مكة لأداء فريضة الحج
توجه خصيصا لمقابلته (فوافاه بعرفات فأخذ عنه كتب اليد وسمع عليه شيئا من
علم الحديث النبوى^(٧)) ويقول الشرجى أن (غالب مشايخ اليمن يرجعون فى

(١) و(٢) و(٣) و(٤) و(٥) : الميدورس : الجزء الطيف ص ٢٠ - ٢١ .

(٦) الشرجى - طبقات الخوارج ٨٤ .

(٧) المصدر السابق ص ٧١ .

نسبة الخرقه الصوفية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (١) .

٢ — الطريقة الشاذلية : نسبة إلى الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المتوفى سنة ٦٥٦ هـ انتقلت هذه الطريقة إلى اليمن على يد الشيخ علي بن عمر بن دعسين الشاذلي المتوفى سنة ٨٢١ (٢) الذي كان من أوائل المؤسسين لها في اليمن وكان قد رحل إلى بيت المقدس ومصر فاجتمع فيها بالشيخ ناصر الدين بن بنت الملق سنة ٧٩٧ أحد أعيان الشاذلية في مصر ويقال أنه لما علم بقدمه إلى مصر من بيت المقدس أمر بعض أصحابه (بلقائه في حفل مهيب) (٣) ثم رجع إلى اليمن وعمر بها الطريقة الشاذلية ، وبعض المؤرخين ينسب إلى هذا الشيخ اكتشاف القات والقهوة (٤) مستدلا في ذلك برحلته إلى الحبشة إلا أن هذا لم يحقق عنه وكل المصادر القديمة التي ترجمت له اكتفت بالإشارة إلى تصوفه ونقله الطريقة الشاذلية إلى اليمن .

٣ — الطريقة المغربية تنسب إلى الشيخ شعيب بن الحسن الشهير بابي مدين (توفي سنة ٥٩٤ هـ ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنه بعث مندوبا من ناحيته إلى حضر موت . ومنذ ذلك التاريخ واتباع هذه الطريقة يتكاثرون في اليمن ولعل آخرهم هو الشيخ أحمد بن عبد القادر باعفن المتوفى سنة ١٠٥٢ الذي شرح كتاب

(١) المصدر السابق ص ٨٤ .

(٢) كذا عند الفرجي وأما السخاوي فيضبط وفاته سنة ٨٢٨ :

انظر ترجمته في تاريخ البرهبي وطبقات الخواص ١٠٠ والنصوة اللامع ج ٥ ص ٢٦٣ .

وإلهة الجليلس لعلي بن نور الدين السكي ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) البرهبي : التاريخ (مخطوط) .

(٤) انظر مثلا كتاب (أناس الصفوة بانفاس القهوة) لعبدروس (مخطوط) وترويح

الآوقات في المفاخرة بين القهوة والقات للاديب أحمد العلبي ص ٣٣ .

الشيخ أبي مدين (أنس الوحيد) في مؤلف بعنوان البيان والمزيد^(١) .

٤ - الطريقة الرفاعية : مؤسسها الشيخ أحمد بن هلى الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٨ هـ انتقلت الطريقة الرفاعية إلى اليمن بواسطة الشيخ عمر بن عبد الرحمن بن حسان القدسى المتوفى سنة ٦٨٨ هـ الذى سيأتى ذكره فى أحداث النزاع بين الفقهاء والصوفية وكان هذا الشيخ قد أدرك أحد أحفاد الشيخ أحمد الرفاعى وهو نهم الدين الأخصر فأخذ عنه الخرقه الرفاعية وتربى بن يديه تربية صوفية (فلما استكمل الشيخ تعليمه أمره أن يدخل اليمن وينشر الخرقه الرفاعية هنالك)^(٢) وفى اليمن اجتمع القدسى ببعض من صوفيتها أمثال الشيخ عمر بن سعيد الهمدانى وغيره ويقول الشرجى أنه (تنقل بعد ذلك إلى عدة أماكن فى اليمن وابتنى عدة ربط بعد أن شهر الخرقه الرفاعية وانتشرت عنه انتشارا كبيرا لاسيما فى مختلف جعفر)^(٣) أما العيدروس^(٤) فيعدد بعض من رجالات الخرقه الرفاعية فى اليمن بعد عصر القدسى وهم إسماعيل الجبرقى ومحمد بن أبى بكر الضجاعى وإبراهيم العلوى المتوفى سنة ٧٥٢ هـ .

٥ - الطريقة السهروردية : نسبة إلى الشيخ عمر بن محمد السهروردى المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . لم يعرف شيء من أثار هذه الطريقة فى اليمن سوى الخرقه المنسوبة إليها فقد أشار العيدروس^(٥) إلى بعض إتباعها وهما الجبرقى والعلوى وقد سبقت الإشارة إليهما .

٦ - الطريقة النقشبندية : من الطرق الصوفية المتأخرة وقد نشرها فى اليمن

(١) طبع فى مصر سنة ١٣٠٠ هـ .

(٢) و(٣) الشرجى طبقات الخوارج ص ١٠٧ .

(٤) العيدروس الجزؤ اللطيف ص ٢٣ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٣ .

الشيخ تاج الدين بن زكريا الهندي النقشبندى المتوفى سنة ١٠٥٠ واحد القاديين فأخذ عنه هذه الطريقة بعض الصوفية كالشيخ أحمد بن محمد بن عجيل المتوفى سنة ١٠٧٤^(١) وابنه موسى بن أحمد وعن تلقى عنه هذه الطريقة أيضا الشيخ عبد الباقي بن الزين المزجاجي المتوفى سنة ١٠٧٤ يقول عنه المحبى (أخذ طريق النقشبندية عن الشيخ تاج الدين الهندي حتى صار خليفته من بعده في هذه الطريقة^(٢)).

وإذا تجاوزنا هذا النوع من التأثير الخارجى على التصوف في اليمن — والذي ينحصر غالبا في الطرق الصوفية — فنسجد الوفرد الصوفية قد قامت هي أيضا بدور فعال في بلورة التصوف في هذه البلاد وذلك بإدخال بعض التيارات الجديدة التي لم يكن له عهد بها من قبل كاستحداث النزعة الفلسفية وقيام التنظيمات الخاصة بالصوفية إلى غير ذلك من أمور غريبة سرعان ما تقبلها صوفية اليمن .

ولعل أهم الوفادات بالنسبة للتصوف اليمنى هي وفادة ذى النون المصرى الصوفى الشهير وقد أشار إلى رحلته هذه بعض الباحثين من القدامى والمحدثين أمثال عبد الله بن أسعد الياضى الذى يذكر حكاية وقعت لدى ذى النون المصرى نفيده دخوله إلى اليمن^(٣) . ومنهم الباحث المعاصر الأستاذ أحمد أمين الذى يحدد دخول ذى النون إلى البلاد بنحو سنة ٢٣٧ هـ^(٤) ولا نعرف ما هو الهدف من مجيء هذا الصوفى للكعبة إلى اليمن وأغلب الظن أنه دخلها بقصد السياحة والتفرج على ملكوت الله كما هو معروف عن هذا الصوفى في زيارته للإمام كن الأخرى

(١) المعنى : خلاصة الاثر ج ١ ص ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٣) الياضى : روض الرياضين ص ٤٣ .

(٤) أحمد أمين : فجر الاسلام .

ولا أعتقد أنه كان يرمى بدخوله اليمن (التبشير لنشر مذهب الصوفى)^(١) كما
يظن بعض المعاصرين إذ العصر الذى إدركه الشيخ لم يكن يعرف بهوى الطرق
الصوفية .

ثم نطوى الزمان طيا ونقف عند القرن الثانى عشر الهجرى حيث تطالعنا
فيه عدة وفادات صوفية هامة لم ينحصر أثرها فى التصوف وحده بل تعدته إلى
تغيير المجرى التاريخى للبلاد ففى هذا القرن وجدنا بعض الشخصيات الصوفية
المجربة تقتحم بمجول اليمن وتبشر بالدهوة إلى التصوف متجاهلة فى ذلك سخط
الائمة على الصوفية فقد ذكر الجبرتي عن أحد القادمين : إلى اليمن وهو الصوفى
المصرى على بن عمر القناوى المتوفى سنة ١١٩٨ بأنه (دخل صنعاء واجتمع
بأمامها وذهب إلى كوكبان وانتظم حاله وراج أمره وألقن منه الطريقة جماعة
فاستمال بحسن مذاكرته ومدارته طائفة من الريدة مع أنهم لا يعرفون الذكر
— هكذا يقول الجبرتي — ولا يقولون بطرق الصوفية فلم يزل بهم حتى أحبوه
وأقاموا حاقى الذكر عندهم واكرموه)^(٢) وكان هذا الرجل قد حقق هدفه فى
تحييد التصوف إلى أهل صنعاء وكوكبان على الرغم من عدم موافقة اتباع
المذهب الزيدى لهذه النحلة . والحق يقال أن المعارضة للتصوف بدأت تحتفى بعد
هذا التاريخ فى عموم اليمن وعلى الأخص القسم الجبل الذى عرف بمعارضته
الصوفية . كما أشرنا سابقا .

ولقى الصوفية من أهل اليمن ترحيبا كبيرا فكثر الوفادات والزيارات
من سائر أنحاء العالم الاسلامى ولعل أهم هذه الوفادات زيادة الصوفى المغربى

(١) القبلى : التصوف فى تهامه ص ١٥ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار (قلا عن نشر العرف

للمؤرخ زبارة ج ٢ ص ٢٥٧) وترجم له أيضا الامل فى النفس اليماني (مخطوط) .

الكبير الشيخ أحمد بن إدريس المتوفى ١٢٥٣ (١) واستقراره في اليمن ثم قيام بعض أحفاده من بعده بتأسيس دولة مستقلة عرفت باسم الدولة الإدريسية وقد لعبت دوراً كبيراً في التاريخ اليمني.

سقوط التصوف

أسفر التصوف عن شخصية قوية كان لها الأمر الكبير في تغيير مجرى الحياة الثقافية في اليمن وتحريكها من تعاليم حرفية تعنى بدرس النصوص التقليدية إلى علوم تعتمد على المواجهات والاذواق الخاصة ببعض أفرادها وقد كان رعاياهم الأول من الصوفية العاملين للذين لم يمنهم زهدهم ونسكهم عن الاقتراب من الناس والدخول في همومه فانخرطوا في سلك المجتمع وكانوا المعبرين عن آماله وطموحه أمام السلطة الحاكمة وسمع منهم أصواتاً قوية كصوت الشيخ أحمد ابن طهوان الذي يقول للسلطان المظفر الرسول .

عار عليك قصورات مشيدة وللرعية دور كلها دمن (٢)

وهكذا يكون الصوفية في اليمن هم الصوت الوحيد المعبر عن الأمة بعيداً عن التزلف والرياء إلا أنهم سرعان ما أخذوا ينحدرون إلى الهاوية بعد أن خلفهم جيل من الصوفية كان همه الأول التمتع بالملاذ والنفاق للحكام ومنذ ذلك التاريخ وعلامات الانحطاط تأخذ في التتابع .

فأول هذه العلامات غلو الصوفية في تقدس شيوخهم وإسباغ حالات العظمة عليهم ففسبوا إليهم العديد من الكرامات التي لا يقدر على فعلها إلا رب

(١) انظر خبر قدومه إلى اليمن في النفس اليماني للأهدل (مخطوط) وكتاب دور

نحور المحور العين لطف الله جفاف (مخطوط) ونبيل الوطرس ج ١ ص ٢٢٣ .

(٢) المقود الوثلوية ج ١ ص ١٦١ (وانظر رسالته التي بعثها إلى السلطان في هذا الصدد

نشرتها مجلة الحكمة الصادرة بطن).

الأرباب^(١) ومنهم من لم يكتف بإضفاء تلك الكرامات إلى شيعته في حياته فأخذ يتقرب إلى طريقه بعد موته ويعتبره من المزارات المقدسة حتى أدى به الأمر إلى الاسيافاة به وطلب نزول المطر عند قبره والنحر له إلى غير ذلك^(٢) .

أما متأخروهم فقد كانوا وصية هار على الصوفية وقد حولوا تصوفهم إلى نوع الشعوذة^(٣) جعلوه وسيلة للكسب الخاطي فقاموا بأعمال يتبرى منها صوفيتهم الأوائل .

لاربع للصوفية السياسي

الملاحظ على تاريخ التصوف أنه لا ينتعش إلا في ظل الدول السنية إذ لا مجال له في المذاهب الأخرى حيث نجد شخصية الصوفي تزاحم من سواها من الزعامات الدينية الأخرى في مذاهب الشيعة والمعتزلة ومذهب الخوارج وقد ذكر آدم متز أن المعتزلة ينكرون بالسكية أن يختص بعض المسلمين بالولاية من دون . بعض ويرون أن جميع الذين يطيعون الله ويقومون بأحكام الدين هم أولياء الله^(٤) .

ولا غرابة إذا كان الصوفية في عهد الدول السنية أهمية لانها قامت على زعامات تفصل بين الدولة والدين وليس للحاكم التدخل في الشؤون الدينية

(١) أنظر على سبيل المثال ما أورده الشرجي في كتابه من كرامات كثيرة لصوفية اليمن

(٢) حسين بن مهدي النعمي : معارج الألباب ص ٥٦ وما بعدها .

(٣) يذكر المؤرخ يحيى بن الحسين حادثة طريفة شاهدها بنفسه سنة ١٠٤٨ لاحد حزاويش الصوفية في تلك الفترة يقول (وفي هذه السنة رأيت فقيراً من فقراء الشيخ أحمد بن علوان يأكل حنشا من أوله حتى بلغ إلى ثلثه أو ربه وطرح باقيه وهو حال أسفه يذكر الله) أنظر بهجة الزمن مخطوط بقلم المؤلف .

(٤) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٤٨ .

من زاوية سلطته العليا الهيدة هو، كثير من تفاصيل الدين وغالبا ما جعل المولود من الصوفية مصدر بركة وإمداد خفي لحكمهم .

تاريخ الصوفية في عهد بني أمية

إذن فعلينا ونحن نؤرخ للصوفية أن نتجه صوب الدول السنية التي حكمت اليمن، فلم معها شأن كبير، ومنذ الدولة الاموية والصوفية يقومون بكل شماراتهم في حرية تامة، وقد كان للصوفية اليمن مواقف لا تنسى تجاه استبداد الولاة الامويين . . . وهذا كرون لهم في ذلك حكايات كثيرة . من ذلك أن عامل صنعاء من جهة الدولة الاموية محمد بن يوسف النقفى أراد أن يستميل إلى جانبه الزاهد الجليل طاووس بن كيسان فبعث إليه بهدية قدرها سبعمائة دينار (وقال للرسول: إن أخذما منك فاني سأحسن إليك ، فخرج الرسول حتى قدم على طاووس وهو بالجنح فقال: يا أبا عبد الرحمن نفقة يمشي إليك . مهر . فقال: مالي بها حاجة . فداراه على أخذما فاني حتى غافا طاووس فرمى بها إلى كوة في بيته وذهب إلى الأمير وقال له أن طاووس أخذما) (١) .

وكان طاووس بعيد صلاته إذا صلى خلف الأمير أيوب أحد أمه صنعاء من قبل الامويين .

(وا' رحل إلى مكة قيل له أن أحد الامراء قدم إليها وأن من فضله وإحسانه كذا وكذا فهلا قدمي عليه؟ فقال لهم: مالي به من حاجة فقالوا: ما نخافه؟ فقال: ليس الامر كما تظنون) (٢) .

وهذا الموقف المضاد من قبل الصوفية يفسر لنا السخط العام الذي سببه الدولة الاموية . هل أن هذه الدولة الاموية لم تتعرض لاحد من

(٢) الرازي : تاريخ صنعاء تحقيق حسين العمري وزميله من ٣٢٠ .

(١) الرازي : تاريخ صنعاء من ٣٢٤ .

الصوفية بأذى نظرا لأنهم كانوا في دور التعمد والزهد ولم يدخلوا تيارات الفلسفة الصوفية بعد ، ومثل ذلك الموقف المماكس من قبل الصوفية ما يذكر عن أحدهم أنه لما (رحل الحجاج إلى مكة سمع مليبا يلبى حول البيت رافعا صوته بالتلبية فقال على بالرجل فأتى به فقال الحجاج من الرجل ؟ قال : من المسلمين فقال ليس عن هذا سألتك ؛ قال : عم سألت قال : سألتك عن البلد — قال من أهل اليمن فقال : له كيف تركت محمد بن يوسف - يعني أخاه - قال تركته هظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا . قال ليس عن هذا سألتك قال عم سألت قال سألتك عن سيرته قال تركته ظلوما غشوما مطيما للمخلوق عاصيا للخالق فقال الحجاج ما حلك على هذا الكلام وأنت تعلم مكانته منى فقال الرجل أترأه بمكانته منك أهر منى بمكانى من افقه تبارك وتعالى وأنا وافد إلى بيته . فسكت الحجاج ولم يحسن جوابا وانصرف الرجل من غير إذن^(٢)

الدول المستقلة والتصوف

وكصدائق لما قلنا من أن الدول الشيعية لا تولي التصوف أهمية نجد اسم التصوف يكاد يختفى تماما من تاريخ الدول المستقلة التي حكمت اليمن بعد انقراض الوصاية عليها كدولة الصليحية (٤٣٩ — ٥٣٥) وبنو حاتم (٤٩٢ - ٥٦٩) والدولة الزيدية (٤٧٠ — ٥٦٩) وكذلك دولة أين مهدي الذي كان (من غلاة المعتزلة فلم يكن للصوفية في نظامه الصارم مجال)^(١) إلا أن عبارة يذكر عن نشأة هذا الرجل فيقول (كان والده من قرية العنبر من سواحل زيد وكان رجلا صالحا سليم القلب ونشأ ولده على بن مهدي على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالصلاح ثم حاج وزار ولقى حاج العراق وعلماء هاروعاظها

(١) اليافعي : روض الرياحين ص ٢٤٠ .

(٢) العقيلي : التصوف في تهامة ص ١٩ .

وتضلع من معارفهم وعاد إلى اليمن فاعتزل الناس وأظهر الوعظ وإطلاق التحذير من صفة العسكر وكان فصيحاً قائماً بالوعظ والتفسير وطريقة الصوفية أتم قيام وكان يتحدث بشيء من أحوال المستقبلات فيصدق فكان ذلك من أقوى عده في استئالة قلوب الناس (١).

إذن فعل بن مهدي هو نفسه من فئة الصوفية . ولكن لا نجد من يضمه في عدادهم من الذين أرخوا للصوفية كما أنه لم يقم بشيء يذكر يوحى بميله إلى التصوف ولا نستبعد أن يكون هذا الرجل من جملة الثوار الذين يحملون من صفة التصوف ذريعة يتذرعون بها للقيام بثورات سياسية .

وقد اكتشف أبو العلاء الممرى (القرن الرابع الهجرى) هذه الظاهرة في ثوار اليمن فقال (كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلا يعدم جباية من ما يصل به إلى خسيس الآمال) (٢) ويقول (ما زال اليمن منذ كان معدناً للمتكسبين بالتدين والمحنالين على السحت بالتزين) (٣) .

وقد ظهر من مشكلة ابن مهدي الكثير من الثوار الذين ترسموا بالتصوف وليس من شأن هذا البحث دراسة هؤلاء ليعدهم عن مضمون التصوف الأساسى وهو الروحية والبعد عن الاغراض الدنيوية إلا أننا سنقف عند شخصية واحدة من هؤلاء هي شخصية الثائر مرغم الصوفى الذى كان لساوكة الثورى شأن كبير لم يقف عند شخصه وحده بل تعداه إلى من تسمى بالتصوف .

وقد قام بثورته ضد الإيوبيين نحو سنة ٦١٩ هـ في بلاد الحقل وزيد وجبل بنى مسلم المسمى ضحمر فدعا الناس إلى نفسه وأخبرهم أنه داع لإمام حق

(١) عمارة : المفيد ص ٢٤٣

(٢) الممرى : رسالة الفزان ص ٣٠٣ .

(٣) الممرى : المصدر السابق .

فانضاف إليه من الناس الجمع الغفير فسار إليه عسكر من جهة الأمير نور الدين ومعه راشد مظفر بن الهرش فقتل مرغم لمن معه إن قاتلونا غدا هو منا هم وقتلنا راشد بن مظفر فكان الأمر كما قال (١) وقد ازداد أصحابه فيه عقيدة .

واستقحل أمر مرغم فجعل رجال الدولة الأيووية في قلق شديد حتى كان من نتيجة ذلك أن قامت هذه الدولة بعمل معاد (٢) للصوفية فيذكر (٣) أن الملك المسعود كره الصوفية بعد عودته إلى اليمن وحاقب من لبس المرقعات وتشبه بهذه الفرقة حتى قيل أنه خرج يوماً من الجند يريد الصيد فرأى الشيخ فرج النوري وعليه لباس الصوفية فغضب وقال هذا يخالف أمرى ثم أشار إلى صاحب الفيل أن يطلقه عليه (٤) .

(١) يحيى بن الحسين : غاية الأمانى ص ٤٦١ .

(٢) الاستاذ العقيلي رأى مخالف لما ذهبنا إليه فهو يرى أن الصوفية اقتضت خلال حكم الأيوبيين (واقطاع عقاب نشاط الصوفية ورجالها ولم يكن للدولة مذهب ديني خاص أو مبدأ سياسى هدروس تفرض الأول وتحاول تحقيق الثانى لذلك رأت في رجال التصوف أداة القوطيد سلطتها فاعتنت باحترام زعمائها ولعفاتهم من الضرائب وعدم التعرض لاتباعهم أو الاحترام على زواياهم وحلقات الذكر وبيع النذور والفتوح التي كانت تنهال عليهم وينفقها زعماء التصوف على إعانة المريدين ووفود الزوار وطالبي التبرك) (المخلاف السليمانى ج ١ ق ١ ص ٨٥) .

هذا هو رأى العقيلي الذى يلاحظ عليه فيه انه لم يعتمد على مصدر يدممه وإنما أتى هذا الكلام إستطراداً أثناء حديثه عن الاقطاعات في عهد الأيوبيين ولم نجهده يشير إلى مرجع قديم في الهامش ، وبظلمة ما ذهبنا إليه هو الصواب لاعتمادنا على اصول قديمة في هذا الشأن ومع ذلك فأتى اسلم للاستاذ رأيه في أن الدولة الأيوبية عادت الصوفية معاملة حسنة كبقية الدول السنية التي حكمت اليمن إلا أن ذلك كان في مبتدأ أمرهم وقبل أن يقوم مرغم الصوفى بشورته .

(٣) الجندى : السلوك (مخطوط)

وكان من أثر هذا التصرف أن وجد عليهم الصوفية وأصبحت كل تصرفاتهم موضع ريبة وشك عند الصوفية ، يقال أنه لما أرادت الدولة الأيوبية أن تؤمم الممتلكات في اليمن بعد فرائثها من أصحابها (اجتمع جماعة من الصوفية فاتفق رأيهم على أن يدخلوا مسجدا ولا يخرجوا منه إلا بعد انقضاء حاجتهم - في إزالة الدولة الأيوبية - فدخلوا مسجدا ، أقاموا فيه ثلاثة أيام يصومون النهار ويقيمون الليل فلما كان في اليوم الثالث أو الرابع خرج أحدهم - ويقال أنه الشيخ دحل - وقف السحر ونادى بصوت عال يا سلطان السماء أكف سلطان الأرض (١) .

تاريخ الصوفية في عهد بنى رسول

تلك صفحة من تاريخهم مع الدول التي حكمت اليمن قبل الرسولين إلا أن تاريخهم الحقيقي يتبدى بهذه الدولة الفتية التي كان من دأبها إحياء النهضة العلمية في اليمن هامة أيا كان نوعها فهم شجعوا شتى طوائف العلماء من العباد والباحثين ولا غرابة في ذلك فقد تشبع حكام بنى رسول بالعلم حتى لا نعدم فيهم من يؤلف ويصنف ويناقش العلماء في مسائل البحث .

ولعل بداية تاريخ الصوفية مع الرسولين يتبدى ببداية هذه الدول بل قبل البداية بسنوات عدة ، فالمؤرخون يذكرون تلك الصداقة الطويلة بين مؤسس الدولة الرسولية الملك المنصور عمر بن علي بن رسول (حكمه من ٦٢٩ - ٦٤٧ هـ) وبين الفقيه الصوفي محمد بن أبي بكر الحكيم المتوفى سنة ٦١٧ هـ وصاحبه الصوفي محمد بن حسين البجلي المتوفى سنة ٦٢١ هـ وهما من كبار الصوفية في اليمن . ويقال أنهما اللذان قويا عزمه في الاستيلاء على الحكم (٢) بعد مشاهدتهما تضعضع الدولة الأيوبية وتنافس أمراءها فيما بينهم على الحكم . ونحن إذا أدركنا أن موت

(١) بامفرمة : تاريخ نجر عدن

(٢) الخزرجي : المقود للؤلؤة ج ١ ص ٨٧ .

الحكمى كان قبل قيام الرسول بالحكم بنحو عشر سنوات ندرك مدى العلاقة التامة بين الصوفية ودولة بنى رسول ولندع الباحث المعاصر الاستاذ محمد بن أحمد العقيلي يشرح هذه المسألة يقول :

(عرف ذلك الشاب المتطلع لملك الدنيا عمر بن علي الرسول وهما قد تنبأ له بالملك ما يمكن اطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحي فأخذ في تقديرهما وكانا عند قدوم مساح الأرض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع يكتبان أغلب أراضي أهل جهاتهما فلما جاء دور الفقيرين لمسح أراضيهم وأخذ الضرائب عنهما عفا عنهما الأمير عمر بن علي الرسول وقد بلغ ذلك نحو خمسة عشر ألف دينار وأدركا بلا شك مطعمه البعيد فأخذا يروجان مقالتهما السابقة بملك اليمين له ويشيمان ذلك سرا ثم يذيعانه مقدما لتهيئة النفوس والعقل لو تبته وشاعت كلمتهما فتقبلها الناس بالترقب^(١) .

إذن فالدولة الرسولية تدين للصوفية بوجودها بعد أن مهدوا لها عند الناس وأصبحت مما ينتظر وقوعه .

في عهد الملك المظفر

إذا عرفنا ميل الملك المنصور إلى الصوفية فلا علينا أن نستبعد إذا ملك ابنه الملك المظفر يوسف بن عمر (حكمه من ٦٤٧ إلى ٦٩٤) نفس المسلك الذي اتبعه والده فيذكر عنه ممن ترجم له شدة ميله إلى الصوفية واعتقاده فيهم حتى أنه كان يرحل إليهم بنفسه ويحتمل في الوصول إليهم بأساليب غريبة كذلك الحادثة التي يرويها الشرحي يقول (لما تحقق المظفر صدق حال الشيخ أحمد ابن محمد أسعد الضبعي وصلاحه سأل القاضي أسعد بن مسلم أن يجمع بينه وبين الضبعي وكان السلطان إذ ذاك في الجند فقال له القاضي إن علم بذلك لا يوافق

(١) العقيلي : التصوف في تهامة ص ٣٢ .

ولكننى أحتال عليه من حيث لا يشعر فاتفق أن الفقيه أحمد الضبي وصل من بلده قرية سهفنة إلى الجند لصلاة الجمعة فأرسل القاضى أسعد إلى السلطان يعلمه بوصوله وأمره أن يقف في دهليز البستان ولا يترك عنده أحد من الخدم والحراس ففعل السلطان ذلك . ثم إن القاضى خرج والفقيه بعد الصلاة يتماشيان نحو بلد الفقيه وهي قرية من الجند وكانت طريقهما على باب البستان الذى فيه السلطان فلما صارا قريباً منه قال القاضى للفقيه مل بنا إلى هذا الموضع نستظل فيه ساعة فوافقه على ذلك ودخل الدهليز فرجد السلطان قاهداً هناك فقام إلى الفقيه وسلم عليه وبش به ثم سأله الدماء فدعاه له دها مختصراً وخرج مسرعاً (١) .

ومثل هذه الحكاية لا نحتاجنا إلى دليل آخر على اعتقاد المظفر في الصوفية وميله إليهم وهو الذى نفاً على حبهم منذ هم والده فكان يرحل مع والده إلى الصوفى الكبير إبراهيم بن على الفشلى (وربما قرأ عليه شيئاً من كتب الحديث (٢) وحينما تولى الملك أعفى الصوفى إبراهيم بن الحسن الشيبانى من خراج أرضه وأرض أهله (٣) وهذا الصوفى هو الذى قال ذات مرة بعد أن ضرب على كتفه (أبشر أن الملك لك ولذريتك لا أسد الدين ولا فخر الدين بمعنى ابنى عمه . وكان المظفر يخاف أن ينازعه في الملك بعد وفاة والده (٤) .

بل بلغ الأمر بالملك المظفر إلى أن يولى أحد الصوفية القضاء العام وهو الفقيه الصوفى إسماعيل محمد الحضرمى (المتوفى سنة ٦٩٦ هـ) مع شدة تأييب هذا الصوفى على المظفر في كثير من الأمور فيذكرون أنه كتب مرة إلى المظفر (في

(١) الشرجى: طبقات الخوارج ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٨ .

شقف من خزف . يا يوسف كثر شاكوك وقل شاكروك فيما هدلك وإلا انقصاك (١) اظهر كيف بلغ الإدلال بالصوفية على الملك المظفر إلى درجة أنهم يطلبون إزاحته عن الملك وهذا يدل على تسامح هذا الملك ورعايته صدره .

في عهد المجاهد

وتنمى العلاقات بين الصوفية وبنى رسول في هدوه لا يهكر صفوها من من حوادث الدولة الكثيرة التضمينات حتى لم يكذب بأن عهد المجاهد (حكمه ٧٣١- ٧٦٤ هـ) ومن تلامه من الملوك : إلا ويعود شأن الصوفية في الظهور وتبرز دولتهم الروحية بعد سلطة بنى رسول مباشرة ففي عهد هذا الملك توسع الصوفية في إظهار شعاراتهم وعقد السماعات في أكثر مساجد زبيد دون أى اعتراض من قبل الدولة . وقد ذكر الزجاجي في معرض كلامه الذى يذكر به ابن المقرئ محاسن الصوفية واهتمام الدولة الرسولية بهم - أن الملك المجاهد (كان يعتقد في الصوفى الكبير إسماعيل الجبرتي ويحسن الظن به وقد يصل مختفياً إلى زى غريب هو وبعض أصحابه إلى مجلس الجبرتي في الليل في مسجد ابن عبد الملك) (٢) وعندما رحل إلى مكة وأخذ إلى مصر من جهة الدولة المملوكية في قصة شهيرة في كتب التاريخ ، ثم عاد إلى اليمن كان أول ما استفسر عنه هو عن جماعة الصوفية يقول المزجاجي (فلما غاب غيبته المعروفة إلى الديار المصرية ومن الله سبحانه بعد ذلك برجوعه إلى بلاد اليمن كان عند نزوله بساحل زبيد اجتمع به الوالى زبيد وهو يومئذ الأمير بن أبى الميجاه فكان أول ما سأل عنه أن قال عاد ذاك الجبرتي هو وأصحابه على حالهم تلك فقال الوالى نعم وأزيد وأحسن .) (٣)

(١) المصدر السابق ص ٣٤ .

(٢) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط)

(٣) المصدر السابق .

في عهد الأفضل

كانت ولايته بعد وفاة والده المجاهد سنة ٧٦٤ هـ. وله مع الصوفية علاقة حسنة فقد (كان يرسل إلى الشيخ إسماعيل الجبرتي بعض أصحابه يسأل له الدعاء منه ولما مر الجبرتي المذكور على مدينة تمزعل الأفضل لأصحابه وليمة كبيرة أقامها خلالها السماع فحضره جماعة من مشايخ البلاد وكبرائها ولما أراد الانصراف أعطاه الإنعامات والهدايا هو وأصحابه) (١).

في عهد الاشراف

أما الملك الأشرف فقد عهد منه الصوفية كل خير ورعاية. يقول المزجاجي مخاطباً المقرئ (أما في دولة مولانا المرحوم الملك الأشرف فلا حاجة إلى شرح ما كان يعتقده في سيدي إسماعيل الجبرتي وأصحابه ومحبيه لهم وكثر إنعامه وإحسانه إليهم وعمل السماعات لهم فهذا شيء تعلمونه وتحققونه غير خاف عليكم ولا على أحد من الناس وشرح ذلك بطول) (٢).

في عهد الناصر

وهذا الملك هو آخر ملوك الدولة الرسولية الكبار الذين حفظوا لها المهابة والاستقرار واستطاعوا أن يوطدوا الأمن في البلاد ومن بعده أخذ نجم الدولة في الانقراض وخلف من بعده خلف لم يستطيعوا مجاراة أسلافهم العظام فتركوا الدولة نهياً للطامعين . يقول المزجاجي وهو يصور علاقة جماعته الصوفية مع هذا الملك (أما في هذه الدولة السعيدة دولة الملك الناصر فما أحتاج إلى شرح ما أنت عالمه من محبة مولانا سيدي الشيخ إسماعيل الجبرتي وحسن اعتقاده له وكثيرة إنعامه

(١) المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق (مخطوط) .

وإحسانه عليه وعلى أولاده وأصحابه وعملهم السماع برحابه العريفة بإشارته
العلية (١) .

وبما سبق يتضح لنا أن العلاقات بين الصوفية والدولة الرسولية كانت حسنة
لغاية حتى أن هذا المسلك سيكون بعد ذلك تقليداً متبعاً عند كل الدول السنية
التي حكمت اليمن فلا يكاد يظهر حاكم للسني إلا وله حاشية من الأولياء والزهاد
يجتهدم للدعاء له واستمالة قلوب العامة إليه حتى كانت هذه العادة موضع نفور
وسخط من قبل العلماء المتمسكين بقول ابن الجوزي في نقد صوفية زمانه (كان
أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا الآن أصدقاء لهم) (٢)
كذلك لاحظ عليهم ابن الأهدل هذه العادة فقال (ومن عادة هذه الطائفة
التحجب إلى الدولة وإيراد الأحاديث والروايات في فضائلهم حتى جعلوا السلطان
الجار من الأبدال وربما ألحقوا في سمعه أن له درجة التحكيم والتفويض فيما فعله
بلا حرج ولذلك لم يسكد يتبع إنكار العلماء من قديم الزمان أحد من الملوك
وذلك من مكرهم) (٣) . وكان هذا من جملة ما نقد به الفقهاء الصوفية كما
سيوضح لنا فيما بعد .

الدولة الطاهرية والصوفية

وكما سار بنو رسول في معاملة الصوفية سيرا حسناً كذلك نجد الملوك من
بنى طاهر — وهم في أكثر الأحيان يقتفون آثار من سبقهم من سلاطين آل

(١) المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ابن الجوزي : تلبس إبليس .

(٣) الأهدل : كشف النطاء .

(٤) ومن هذا القبيل تقرب هذا السلطان إلى الصوفي محمد بن علي السودي التوفي ٩٣٢ =

رسول — فهذا الملك عامر بن عبد الوهاب الطاهري يقرب (١) إليه الصوفي الكبير أبا بكر بن عبد الله العبدروس المتوفى سنة ٩١٤ هـ. ويمده بالأموال والخلع الباهظة الثمن وقد كتب له في رسالة (يطلب منه الدعاء بأن يمكنه الله من فتح حصن وصاب) (٢) وكان هذا الصوفي (قد بشر السلطان بفتح بلد يافع ودمنه وجين وغيرها) (٣).

وقصائده الكثيرة في هذا السلطان تمطينا دلالة أكيدة على مدى ارتباط الصوفية بهذه الدولة ، من ذلك قوله في قصيدة طويلة :

يا من رقى في الملك أعلى رتبة	ومجده سامى على الذهب
وعطاؤه عم البرايا كلها	وجوده يزرى بوبل السحب
ما حاتم ما جعفر في جوده	ما حيدر ما عزت في الضرب
كم قامة عبطا فتحها عزوة	كم هامة قد قدما بالعضب (١)

« الصوفية والحكم العثماني »

سيذكر التاريخ للصوفية مقاومتهم للغزاة الذين دخلوا البلاد ، فكما رأيناهم يقومون بثورتهم العارمة ضد الايوبيين في شخص مرغم الصوفي ، وذلك بعد خروجهم عن القاعدة الشرعية التي جاؤوا من أجلها رأيناهم أيضا ينتفضون في وجه الاتراك الذين دخلوا البلاد وقد احدثوا فيها من المفاصد ما جعل العقلاء يدعون إلى طردهم وتحرير الارض منهم . ولعل الباحث الرئيسي في معاداة الصوفية لهم ذلك التذمر الشعبي الذي عم الاوساط تجاه الدولة العثمانية وهو

== وقد بحث إليه (بخلعة نفيسة) انظر النور السافر ص ١٠٦ .

(١) العبدروس : ديوان حجة العالمك ص ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٩٥ .

يعود إلى أسباب تتعلق بسلوك هؤلاء وبأمور أخرى خرجوا فيها عن القاعدة التي دعا إليها ديننا الحنيف، وقد أجمع المقل في القرن الحادي عشر بقوله (كانت الأتراك قد هانت في اليمن وفعلوا الأفاعيل بفروهم أولا من الخور والفجور وبالناس ثانيا من الفتك ونهب الأموال وغير ذلك^(١)) ولا غرابة بعد كل هذا أن أقام الصوفية بقومتهم ضد الأتراك وهم الذين جندوا أنفسهم لمراعاة الفضيلة فقد ذكر أهل التاريخ ظهور جماعة من الثوار الذين وقفوا في وجه الأتراك وأغلبهم من أهل الجبال كذلك الثائر الذي ظهر في بلاد آس نحو سنة ٩٨٦ ولقب نفسه منصور اليمن وتوهمه ناس كثير من الانتصار تمكن بهم من طرد عامل الباشا مراد^(٢).

وما زال الشقاق يقوى بينهم حتى آخر مراحلهم في اليمن حيث ذكر الواسعي قيام أحد الصوفية بثورة في نواحي تهامة سنة ١٢٠٠ هـ وقد وصفه بأنه (رجل كان يدهي السحر والمعرفة بعلم الكيمياء استطاع أن يجمع حوله العامة من أهالي تهامة وبخاصة من قبيلة خولان النائرة ودعاهم إلى مناوأة الحكم العثماني في اليمن. وقد وجه الأتراك قوة عسكرية استطاعت أن تهجر هذا الرجل على الهروب وتفرق أتباعه^(٣)).

أما قبل هذا التاريخ فسنجد الأمير التركي فائضه حينما طلب من أهل مدينة بيت الفقيه تحصيل مبلغ كبير من المال اعترضه في هذا المسلك للصوفي أحمد بن جعفر وقال له أن هذا المبلغ لا يمكن تحصيله لأن الناس متفرقون في الجبال. فلما كان من هذا الأمير إلا أن قتله احتجاجا على قوله ثم أراد أن يقوم بحملة

(١) المقل: العلم الشامخ ص ٣٢٢

(٢) يحيى بن الحسين: غاية الأمان ص ٧٥١

(٣) فارق أباطة: الحكم العثماني في اليمن ص ١١٩

أخرى ضد الصوفية لاهاذتهم فيقال أن للصوفى الكبير أبو بكر بن مقبول الزيلعى المتوفى سنة ١٠٤٢ هـ دعا عليه بقواه (اللهم شتت شمله وفرقه جمعه) (١) .

وقد كانت بداية أمر الاتراك فى اليمن تبشر بعلاقات - سنة بينهم والصوفى وخاصة حينما أظهروا نية طيبة نحوها بدليل تلك الرؤيا التى رآها القائد التركى صفر للصوفى ابن أبى بكر بن عبد الله العيد روس وهو يبشره بفتح اليمن (٢) ، كعمل الرالى حسن باشا بتجديد عمارة ضريح الصوفى أحمد بن علوان فى تمز (٣) وقد مال إليهم الصوفية من أهل الجنوب لاسباب مذهبية .

لولا أن المجن قد انقلب عليهم بعد ذلك عند ثورة اليمن عليهم وخروجهم عن الطريق السوى كما أسلفنا .

« الائمة والصوفية »

تاريخ الصوفية مع ائمة اليمن نوع آخر من العلاقات المتذبذبة بين الحرب والسلم وإن كان يغلب عليها النوع الاول كما سيتضح لنا فيما بعد .

ويبتدى تاريخهم مع الائمة منذ أدرك الامام المهدي أحمد بن الحسين - (حكمه من سنة ٦٤٦ إلى ٦٥٦) - تلك الشعبية الطاغية هؤلاء الصوفية فقد أدرك بيسرته الناقبة أنها لا شك ستؤثر على مركزه السياسى فى المجتمع اليمنى الذى يعتمد فى أكثر الاحيان على النفوذ الروحى . وقد أصبح يواحه فيه جماعة الصوفية . فلما رأى هذه الشعبية حاول أولاً أن يستميل رجالها إلى جانبه وقد كتب إلى الصوفى الكبير ابن الغيب بن جميل المتوفى سنة ٦٥١ هـ رسالة صدرها بالآية الكريمة (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا

(١) المعنى : خلاصة الاثر ج ١ ص ٩٨

(٢) النبروالى : البرق اليمانى ص ٢٥١

(٣) يحيى بن الحسين : غابة الامانى ص ٢٥٦

وبيّنكم الآية) (١) ثم قال فيها (باشيخ القصد الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام) (٢) ويقول الجندي في تعليقه على رسالة الإمام المهدي تلك (أنه متى مال الشّيخ أبو الغيث مع الإمام فاهل تمامه مائلون معه) (٣) .

ولا جدال في الغرض السياسي من هذه الرسالة ولو أنها بمنتهى إلى رجل غير أبو الغيث لاعتبرها تدهيماً لمركزه الروحي وخاصة أنها من إمام مثل المهدي وقد خصه بها من دون غيره ولكن ليس مثل هذا الإغراء مما يدفع نحوه الشّيخ أبو الغيث لستمع إليه في رده على رسالة الإمام السابقة الذي يقول (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الحمد لله فالق الإصباح ومرسل نسيم الرياح إلى فسيحة مبدأ عالم الأشباح والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه الكرام . أما بعد فقد وصلنا كتاب السيد الشريف يدعونا لإجابته ولعمري لأنها طريق سلكتها الأولون وأقبل عليها الأكثرون غير أنا نقرأ منذ سمعنا قوله تعالى (له دعوة الحق) لم يبق فيها منسج لإجابة الخلق فليس لاحد منا أن يدبر سيفه على نفسه ولا أن يفرط في يومه بعد أمسه فليعلم السيد فلة فراغنا لما رام وليبسط العذر والسلام) (٤) .

وهكذا اعتذر الشّيخ أبو الغيث بأسلوب متبع هذه جماعته من الصوفية بعد أن وضع نفسه في حل من أي انتماء لهذا الإمام .

(١) الآية ١٦٤ سورة آل عمران

(٢) الجندي : السلوك (مخطوط)

(٣) المصدر السابق

(٤) المصدر السابق (مخطوط) وانظر هذه الرسالة في مرآة الجنان للياضي ج ٤ ص ١٣٦

والمعقود للؤلؤية ج ١ ص ١٠٨ وقد اثبتناهما كما، لة هنا لاهيتها .

وقد كان هذا الموقف - موقف النجاشي عن الأئمة - علامة رئيسية اتجه منها الصوفية إلى وجهة الدول السنية ورأيناهم يبنذون ما سواهم حتى أن موقفهم هذا يفسر لنا سر تجمع الصوفية السنية وبعدهم عن الجبال الخاضعة لنفوذ الأئمة ويذكرون في هذا الصدد أنه (لما قوى أمر الإمام عبد الله بن حمزة - أو أحد الأئمة - نزل الشيخ أبو الفيث إلى تهامة)^(١) وقد كتب إلى الفقيه محمد بن إسماعيل الحضرمي يقول (لقد عذمت على النقلة من بلاد اليمن (الجبال) من أجل ظهور الفتن فهل توافقني على ذلك فـكتب إليه الفقيه يقول إنى كثير الديار والأهل والأقارب ولا يمكننى الانتقال بهم ولا يمكننى أن انتقل وأتركهم ولكن على أن أحمى جهتى وعليك أن تحمى جهتك فقال الشيخ صدق الفقيه فانفق أن قتل الإمام أو أنه مات عقب ذلك)^(٢) .

ويظل العداء بين الأئمة والصوفية مستمر إلى أن يصل ذروته عند قتل الامام صلاح الدين محمد بن على (حكمه ٧٧٣ - ٧٩٣ هـ) الفقيه الصوفى أحمد بن زيد بن عطية الهاورى وكان هذا (يقبض الإمام وصنف كتابا^(٣) يحذر فيه من البدعة فقصده الامام المذكور إلى هلالده فى عسكر كثير ومجموعا على بيت الفقيه وقتلوه هو وولده أبو بكر وجماعة من أهله وأصحابه من غير قتال منهم بل ظلماً وعدواناً وذلك^(٤) سنة ٧٩٣ هـ .

وكان هذا التصرف مصدر تدمير كبير من قبل الصوفية بما فيهم العلامة للكبير

(١) الشرجى : طبقات الخوارج ص ١٢٣ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) وهذا الكتاب هو الذى تصدى لرد عليه العلامة محمد بن يوسف الفضلى فى كتابة (الانصاف فى الرد على أهل الزيغ والاعتصاف) كما ذكر فى المقدمة .

(٤) الشرجى : طبقات الخوارج ص ٢٤ .

الفقيه اسماعيل بن أبي بكر المقرئ المتوفى سنة ٨٣٧ هـ الذى كتب قصيدة يقول فيها مخاطباً الإمام صلاح الدين محمد بن علي :

أراني الله رأسك يا صلاح	تداوله الأسنة والرماح
وقد طلعت وأنت بها صريع	تقاسمك الأسنة والصفاح
أقد أطفأت الإسلام نوراً	يضيء العلم منه والصلاح
فتسكت بأولياء الله بغيا	وعدوانا ولج بك الجراح
وبؤت بسخط ربك لا بمحمد	ولا أجر وعرضك مستباح
فتسكت بأحد فانهك ركن	من الإيمان واقترض الدماح
فلا تفرح بسفك دم ابن زيد	فما يرجى أقاتله فلاح ^(١)
فليس له سوى البارئ نصير	وإن عصى الله ولا سلاح
توقع لاهلاك فقد تدانى	وقد نهكت على النمل الجناح
شهرت سلاحك المغلول فيمن	سلاحهم الدهاء والافتتاح
قتلت الصائمين وهم ساجود	ينادون الإله لهم نواح
وما كانوا يعلمك أهل حرب	ولا فيهم فتى فيه كفاح ^(٢)

وبعد هذا العمل الخطير من قبل الإمام الناصر صلاح الدين كاذب الصوفية يخافون الأئمة أشد الخوف ويحذرون من الاقتراب إليهم وقد ذكر للزجاجي رواية تدلنا على مدى تخوف الصوفية من الأئمة فقال إن (الفقيه الصوفي محمد بن موسى بن عجيل وقد كان أحد زهاد عصره قد أسرف في إذن الشيخ اسماعيل الجبرتي بقوله (أدع الله تعالى يحى هذا القطر من إمام المشرق وأشار بيده له

(١) صدقت نبؤة ابن المقرئ إذ قتل الإمام في نفس السنة التي قتل فيها الصوفي أحد بن

زيد الشاوري .

(٢) ابن المقرئ : ديوان ابن المقرئ ص ٣٨٠

نجاه مدينة صنعاء وذمار وأعمالها — واجعل خاطرك بذلك وإياك أن تسهل
له في ذلك (١) . وهذا نص جلي يبين لنا شدة خوف الصوفية من الأئمة .

الامام شرف الدين والصوفية

وتمضى مرحلة من العلاقات بين الصوفية والأئمة لا نجد فيها ما يدفعنا إلى
القول بأنها كانت علاقات حسنة وكل ما في الأمر هذا الفتور الشديد الذي يصل
أحيانا إلى تمنى الأئمة على جماعة الصوفية دون ما يعر ذلك سوى بعض المسائل
الاعتقادية المخالفة لهم . . . وسنضرب عليها هنا .

وبعد مجيء الأتراك إلى اليمن وجد الامام شرف أن جماعة من الصوفية
يخذلونه في نضاله معهم ورسخ في ذهنه أن هؤلاء الصوفية (يدخلون في النصب
بالإيماء إليه أو بالتلويع كقول بعضهم أن آل النبي إنما هم من كان أتباعه) (٢)
إلى آخر ذلك فما كان منه إلا أن تصدى لهم وعقد معهم أولا المناظرات ثم
أردع بعضهم السجن والبعض قتله .

وقد ذكر ابن أبي الرجال في ترجمة محمد بن عطف الله العيسى أنه
وقعت بينه وبين الامام شرف الدين مناظرة وذلك في ٢٣ جمادى الآخرة
سنة ٩٣٩ حول الصوفية بعد أن ظهر الامام جنوح العيسى إلى مبتدع هذا المذهب
المنكود ولم يفعل الامام ذلك إلا لما رأى ميله إليهم ونصرته لمذهبهم (٣) وبعد
المناظرة هدده الإمام بقوله إن لم يقلع عن معتقد الصوفية (عامله معاملة المرتدين
وأمره باهتزال زوجاته ثم أمهله حتى يراجع نفسه والا هو مل بالقتل) (٤) ثم إن

(١) المزجاجي : هداية لسالك (مخطوط) .

(٢) ابن أبي الرجال : مطلع البدور نقلا عن كتاب الامام شرف الدين (الأثمار)

(٣) ابن أبي الرجال : المصدر السابق نقلا عن سيرة الامام شرف الدين للزريق

(٤) المصدر السابق (مخطوط) .

العيسى رجع عن معتقده وذلك بعد أن ضرب وهذب وكتب رسالة يبين فيها رجوعه عن التصوف (سند كرمنا في موطع آخر (١) .

يقول ابن أبي الرجال - وهو يصور حالة الصوفية في عهد الامام شرف الدين وذلك قبل اتهام العيسى بميله إلى الصوفية - (وكانت قبل ذلك خدمت نارهم وقل تظاهروهم بذلك واشتتارهم ونبا حدهم وانفل ودرس منهمج سلوكهم واضمحل إلا من تخفى بذلك الرقص والتصفيق والفناء في البيوت وما كان سبب خذلانهم إلا ما صار يصدر عن الامام شرف الدين من النهي عن اتباع التصوف ، والرجوع عن السلوك في تلك المسالك من أول دولته (٢) .

ولم يقف الأمر عند محمد بن عطف الله العيسى بل نهد الامام شرف الدين قد أخذ عبد الله بن القاسم بنفس الجريمة السابقة وكان هذا قد (علق قلبه بالتصوف بسبب رجل يقال له الشيخ علي الجبرتي وصل إلى الظهريين من بلاد حجة والسيد عبد الله هناك فمال معه ولازمه ودار معه في الامصار فلما ظهر منه اعتقاد الصوفية حبسه الامام في حصن المروس وأغاطه عليه (٣) ثم أطلقه بعد أن كتب رسالة يتبرأ فيها من مذهب الصوفية (٤) .

على أن موقف الإمام شرف الدين من الصوفية لم يقتصر على السجن فقط بل تعداه إلى قيام الإمام بقتل مضمم . يقول المؤرخ يحيى بن الحسين في حوادث سنة ٩٤٢ (وفيها أمر الإمام شرف الدين بقتل الفقيه حسن بن علي الجدر (٥))

(١) انظرها في قسم الملاحق وقد رأينا لرجاء هذه الملاحق بعد أن رأينا توسم الكتاب ،

(٢) ابن أبي الرجال : المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق مخطوط .

(٤) انظرها في قسم الملاحق .

(٥) كذا ورد اسمه في غاية الأمانى وفي المطلع باسم حسين بن يحيى الجدر .

لما ظهر منه العمل بمقيدة (السطاحين) من الصوفية ومال إليه كنه من الناس واستتابه الامام ولم يتب^(١) وقد توسع في هذا الخبر ابن أبي الرجال وهو ينقل عن مصدر قديم للزريقى وقال انه - أى الإمام شرف الدين - لم يكلف نفسه بمناظرة حسن بن يحيى الجدر كما فعل مع العيسى وذلك (لعدم رسوخ الجدر في العلوم) ثم (لما فتح الامام مدينة حمدة وجد عند بعض متصوفها كتابا من الفقيه حسن الجدر فيه التحريض له على البقاء في التصوف وأنه لا يروعه الكلام والزجر من الامام شرف الدين فلما رأى الامام ذلك هم بقتله وأشار إليه بعض الحاضرين أن يحبس فأمر الامام ابنه على شمس الدين بحبسه ثم إن الفقيه حسن الجدر حلف بالله الايمان بالمعظ أنه قد خرج عن هذا المعتقد سرا وجهرأ وأن هذا الكتاب كان قبل استتابة ابن عطف الله العيسى ورسائله ، فقبل الامام عذره واستمرت الحالة إلى شهر صفر سنة ٩٤٢ ثم ظهر منه البقاء على مذهبه المشؤوم وأنه مسر للكفر فأمر الامام بقتله في ضحوة نهار الجمعة ٢١ من شهر صفر المذكور بحلقة صنما^(٢) .

وهكذا كانت علاقة الامام شرف بالصرفية تطور من سيء إلى أسوأ وأنها ليست بأحسن من سابقتها من الأئمة الذين تقدموه .

الصوفية والدولة القاسمية

بدأت الدولة بالامام القاسم بن محمد (حكمه من ١٠٠٦ - ١٠٣٩ هـ -) الذى يعتبر من فحول العلماء المصنفين وقد سبر أغوار مذهب الصوفية فلم ير فيه رأيا حسنا فكان من شأنه أن تصدى للرد عليهم فى مؤلف كبير بعنوان (حتف

(١) يحيى بن الحسين غاية الامانى ص ٦٨٠ .

(٢) ابن ابى الرجال مطلع البدور (مخطوط) .

أنف الإلفك^(١) شرح فيه قصيدة له أسماها (الكامل المتدارك في بيار حال الصوفي الهالك) ومما جاء فيها قوله ممرضا بالصوفية :

فينا التلاوة والمواظ والدعاء واللحن عندهم ببرقة تمهد
فينا الصلاة والزكاة وصومنا وجهادنا أحد بذاك أحد
والرقص عندهم وكل محرم والفاحشات وقولهم أطرق مد
وعلى هذا السنن المعادى للصوفية أيا كانوا كذلك الحادثة التي يروونها
المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه بهجة الزمن يقول في حوادث سنة ١٠٧٤ (وفيها
أو التي قبلها أحرق الامام المتوكل على اسماعيل كتاب (الفصوص) لابن عربي
بناء على ما فيه من كفر بعت^(٢)) وكتاب الفصوص من كتب الصوفية فنحس من
هذا العمل عداة الامام المتوكل على الله اسماعيل للصوفية وإن كان الأمر يبدو
بسيطا نظرا لأن هذا الكتاب من الكتب التي يتبرى منها الصوفية المعتدلون ومع
ذلك فما زال موقف العداة تجاه الصوفية مسيطر على الأئمة حتى آخر إمام
وهو الناصر أحمد بن محير حميد الدين الذي قام بهدم ضريح الصوفي أحمد بن علوان
في يفرس وأضرحة أخرى لكبار الصوفية في الحديدة وتمز^(٣) وقد قال الشاعر
محمد محمود الزبيري مشيراً إلى صنيع الامام ذلك :

كذلك المجد إما رافعا علما أو باعنا أما أو هادما صنما
قد اقتلعت قباب الشرك متخذاً مكانة البيض والهندية الخدما
حطمت قبرا لخطير الشأن جانبه لولا عزيتك للشماء ما انعطما
جرح على كبد الاسلام متسع وضعت فيه شعاع الشمس فالتأما

-
- (١) هذا الكتاب مخطوط ضمن كتب الجامع بصنعاء برقم ١٣٠ (علم الكلام) .
(٢) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط) .
(٣) زيارة : أئمة اليمن . القسم الاول ص ٢٠٤ .

وعلى العموم فإن الموقف بين الفريقين كان موقف خصومة ومحاربة وقد نذبه لهذا العداء في القرن العاشر العلامة محمد بن يحيى بهران المتوفى سنة ٩٢٧ الذي أخذ من صوفية زمانه عداءهم الشديد للأئمة يقول (ومن نقائصهم مخالفتهم ومباينتهم للأئمة فهو لاء القوم الصوفية نبذوا أهل البيت وراء ظهورهم ونفروا الناس عن اتباعهم واسبواهم إلى الابتداع في الدين بل الخروج عن خيمة المسلمين) (١) هذا من حيث عداء الصوفية للأئمة أما من حيث عداء الأئمة للصوفية فقد أشار إلى ذلك العلامة صالح بن مهدى المتوفى سنة ١١٠٨ في كتابه العلم الضامخ يقول (وقد من الله علينا في اليمن بحسم مادة التصوف في جبال اليمن بسبب الإمام القائم فيها وكان من أفضل ما جاء به منع الذوغين) (٢) من اللعاب لأن مذهبهم تحريم الغناء ومن غريب ما روى بعض العلماء أنه أهدى للإمام (الفصوص) كتاب ابن عربي وكانت له جارية معضوبة (٣) فقال لأهله أوقدوا هذا الكتاب واخبروا عليه قرصا واطعموه هذه الجارية ففعلوا فسكأنما نشطت من عقل (٤) ثم سألت الإمام عن ذلك وحكيه له ما قيل فقال نعم

(١) ابن بهران: الكشف والبيان (مخطوط).

(٢) التمايل والرقص (تاج العروس).

(٣) مشوله أو ما يقارب هذا المعنى (تاج العروس).

(٤) ومثل هذه الحكاية ما يذكره ابن الأمير عن نفسه أنه (وقم معه عارض أسهل زيادة على سنة ونصف ولم ينغم فيه دواء وأعياء الأطباء وجاني بعض فقهاء صنعاء بكتاب اسمه (الإنسان الكامل) تأليف الجيلي من كتب الصوفية ومعه المظنون به على غير أهله) فطالعت الكتابين وكتبت قد قرأت الأول منهما من أيام ثم رأيت فيهما ما هو والله كفر لا يتردد فيه ذو لسان فحرقتهما ثم جعلت أوراقهما في التنور وخبز لي على فارها خبز فضيغ وأكلته بنية الشفاء من ذلك الداء فذهب بحمد الله الألم ونمت الليل أو أكثره وحمدت الله تعالى على نصرة دينه (انظر ديوان ابن الأمير ص ٣٢٩).

فعلنا ذلك فشفيت فبهذه الحارقة عارضت خوارق بن عربي (١) .

وهكذا كانت العداوة بين الفريقين ينوارونها جيلا لجيلا وهي تميل في بعض الاحيان إلى أسباب سياسية بحثة كخشية بعض الائمة من نفوذ الصوفية الروحى وتغير العامة من اتباعهم كما رأينا في نص ابن جبران السابق أو أنها ترجع إلى أسباب مذهبية يتفق الائمة بها مع فريق الفقهاء الذين نقدوا الصوفية لأسباب تتعلق بأمر الدين وخروج هؤلاء عن قاعدة الشريعة الاسلامية ولا يتعدى هذا العداء أحد الأمرين .

« استمالة الائمة للصوفية »

وحينما وجد الائمة أن صوفية اليمن يتمدون عنهم وخاصة أولئك النفر الذين قطعوا المناطق السهلية وبعض بلدان الجنوب رأوا أن في ذلك خطرا كبيرا يهدد مراكزهم الروحية والسياسية فما كان منهم إلا أن استعاضوا عنهم بجماعة من صوفية الجبال قربوهم إليهم واغدقوا عليهم المال لعل فيهم ما يسد النقص ويبعد عن الاذهان ما علق بها من أن الائمة كانوا يحاربون الصوفية والتصوف من حيث أصله فقد وجدنا الامام الناصر صلاح الدين الذى قام بعمله في قتل الصوفى الجليل أحمد بن زيد الشاررى . يتقرب إلى الصوفى الكبير إبراهيم ابن أحمد السكيتى المتوفى سنة ٧٩٣ هـ ويرحل إلى ذمار لقصد زيارته وطلب الدعاء منه وكان يقول (استغفر الله من تقصيرنا في حق هذا الامام (٢) ويقول للأورخ يحيى بن المهدي (كان الامام صلاح الدين يزور السكيتى فكل عام إلى ذمار وإن كان في صنعاء ففى الشهر أو الشهرين يزوره فى الليل فى خلوه خالية .)

ولعله من الغرابة بمكان أن هذا الامام الذى عرف عنه عدم ميله إلى الصوفية

(١) المقبل : العلم الشامخ ٣٨١ .

(٢) يحيى بن المهدي : صلة الاخوان (مخطوط) .

كان على علم تام بعلوم الصوفية ومواجيدهم وقد اعترف له بهذا معاصره الصوفي إبراهيم الكينى يقول (يعلم الله أنى ما وجدت فى علوم المعاملة وعلوم أهل الحقيقة ووظائف هذه الطريقة ومكاشفاتهم فى وقى هذا أعرف من الامام الناصر) (١) .

وقد حوت مكتبة الامام الناصر بعض كتب الصوفية النادرة يقول من وقف عليها — وهو الكينى السابق الذكر — (قد شاهدت عنده كتباً غريبة فى علوم الزهاد وحكايات الاوليا ما لم أراه إلا عنده منها كتاب كيمياء السمادة للغزالي وأجزاء من إحياء علوم الدين) (٢) ولعل ذلك من باب معرفة الشيء . وإذا كان هذا موقف الامام الناصر بما أئمر عنه من قتل الصوفى العاورى فما بالك بغيره .

« مؤلفات الأئمة فى التصوف »

على أنه يجب أن نعتبر سلوك بعض الأئمة المعادى تجاه الصوفية عملاً سياسياً بحثنا تقتضيه الأوضاع الخاصة بهم من حيث تنافس الفريقين فى استئالة الناس عن طريق التأثير الروحى وبعض الزعامات الدينية . وإلا فما هناك عداوة . وقد رأينا بعض الأئمة المتهملين الذين لا هم لهم فى النفوذ السياسى يتساهلون مع الصوفية بل نحمد منهم من لم يكتف بهذا كما هو الحال عند الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ هـ الذى كان يردد الثناء على الصوفية حتى أن الصوفى عبد الله بن أسعد البافعى يستغرب من أن الإنكار على الصوفية لا يصدر إلا من قبل أهل (السنة) (مع أن إمام الزيدية العلامة الفاضل يحيى بن حمزة كان يستحسن القصيدة التى كتبها فى الثناء على الصوفية وقد أخبرنى بعض الاصدقاء

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

قال رأيته في حراز من بلاد اليمن وقد أتى غازيا للاسماعيلية في جيش كثر قال فلما علم أنى قاصد للحج قال لملك تأيبنى أو قال عسى أن تأيبنى بهىء من كلام اليافعى (١) .

إذن فلا تستغرب إذا وجدنا الامام يحيى بن حمزة يضع مؤلفا حافلا في التصوف يعتبر من أهم ما تركه أهل اليمن في هذا الباب من حيث التقسيم وسلامة التعبير بل إنه يدخل من ضمن الكتب النادرة التي تناولت سلوك المجتمع على مستوى شامل وعالجت مسألة سياسة الأفراد الخاصة والعامة .

وهذا الكتاب — ويسمى (تصفية القلوب عن درن الاوزار والذنوب) (٢) بناه على أبواب رئيسية نفهم منها معنى الكتاب وقضاياه وهى :

المقالة الاولى : فى الرياضة وتهذيب الاخلاق :

المقالة الثانية :

المقالة الثالثة : فى بيان الصفات المهلكة .

المقالة الرابعة : فى الصفات المنجية فى بيان الامور المعتادة نحو الأدب فى الاكل والشرب إلخ ..

المقالة الخامسة : فى بيان أخلاق النبوة وذكر المعجوات الباهرة .

المقالة السادسة : فى العزلة .

المقالة السابعة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المقالة الثامنة : فى الزهد .

(١) اليافعى : مرآة الجنان ج ٤ ص ٣١٥ .

(٢) مخطوط بمكتبة الجامع برقم (٧٢) تصوف ومنه نسخ أخرى متعددة « انظر

كتابنا مؤلفات حكماء اليمن » .

المقالة التاسعة : في الغرور .

المقالة العاشرة : في ذكر الموت .

ومن هذا التقسيم يبدو لنا جلليا تأثر الامام يحيى بن حمزة بأسلوب الغزالي في كتابه الإحياء حتى كان هذا دافعا للواسعي في القول بأن الامام يحيى بن حمزة نحا في كتابه نحو الغزالي في الإحياء (١) وما ذاك إلا من حيث التقسيم إذ في الكتاب أمور انفرد بها وحده كنظراته العامة للمجتمع وسياسته السلوكية الدينية .

على أنه لا مضاحة في اطلاع الإمام يحيى بن حمزة على كتاب الإحياء حيث تشير قائمة كتبه إلى مؤلف مختصر بعنوان (عقد اللآلئ في الرد على أبي حامد الغزالي) (٢) انتقد فيه القسم الأخير بالسماع من كتاب الإحياء وهذا دليل على قراءة الامام رحمه الله للإحياء .

والآن وقد عرفنا إعجاب الإمام يحيى بن حمزة بالصوفية وتأليفه في علومهم فلا علينا إلا أن نلتفت إلى غيره من الأئمة الذين اهتموا بالتصوف وفنونه فسنجد في قائمة مؤلفات الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ عدة عناوين توحى باهتمامه بهذه الناحية ككتابه (تسكيلة الأحكام والتصفية من من بواطن الآثام) (٣) وله عليه شرح في مؤلف ضخمة بعنوان (ثمرات الأكام) (٤) وهذا الكتاب عنى به جمع غفير من صوفية اليمن فشرحوه وذيّلوا عليه كشرح صلاح الدين الجحافى المتوفى سنة ١٠٥٣ وشرح الحسن بن أحمد الجلال

(١) الواسعي : فرجة الهموم والحزن ص ١٩٥ .

(٢) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ١٠ مجاميع :

(٣) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ٧٥ تصوف .

(٤) مخطوط : بالمتحف البريطاني برقم ٣٩٣٧ .

المتوفى ١٠٨٤هـ وغيرهما وللإمام المهدي عدة رسائل مختصرة تدخل ضمن كتب
الصوفية كرسائله (حياة القلوب المحي لعبادة علام الغيوب)^(١) و (الزهرة
الزاهرة بتحقيق الدنيا وتعميق الآخرة)^(٢) وغيره .

وأخر من تذكره من الأئمة المؤلفين في التصوف الإمام عز الدين بن الحسن
المتوفى سنة ٩٠٠هـ فقد ترك في علم التصوف كتابا جيدا بعنوان (كنز الرشاد وزاد
المعاد)^(٣) وهو يتميز على سائر الكتب المصنفة في علم التصوف عند اليمينيين بحسن
التبويب ووضوح العبارة وقد قسمه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة وهو في عموم
يدور حول الجوانب الخلقية من التصوف ولم يتعرض إلى شيء من العلوم التي
تميز بها الصوفية من أتباع ابن عربي بل سجنده يحذر في مقدمة الكتاب من تلك
العلوم (الفاسطحة) وينقل في ذلك قصيدة جاء فيها قوله في الرد عليهم :

تركوا الفرائع والحقائق واقتدوا بطرائق الجهال والضلال
فاحذرهموا واحفظ مودة سادة قاموا بذكر الله في الآصال^(٤)

وهكذا تتابع مؤلفات الأئمة في التصوف إلا إنها تدور كلها حول الجوانب
العملية من التصوف ولم نجد أحدا منهم يخوض في فلسفات صوفية أو أفكار تبعده
على الجانب السني المأثور عن جيل الصحابة وزهاد المسلمين .

(١) مخطوط : بمكتبة الجامع برقم ٢٧ فرايض .

(٢) مخطوط : بمكتبة الامبروزيانا وآخر بمكتبة الجامع برقم ٦٠ مجاميع .

(٣) طبع سنة ١٣٤١ بتصحیح الشيخ عبد الواسع الواسعی ثم أعيد طبعه أخيرا وصدر
ضمن مؤسسة غمضان التجارية .

(٤) عز الدين بن الحسن : كنز الرشاد ص ١١ .

مَدْرَسَةُ ابْنِ عَرَبِي فِي التَّصَوُّفِ لِيَمِينِي

ابن عربي واليمن

لا توجد هناك صلة تذكر بين الشيخ محيى الدين بن عربي واليمن إلا إذا اعتبرنا هذه الصلة من خلال نسبته إلى قبيلة (طى) (١) التى يعتبرها المؤرخون من القبائل اليمنية ويسلمون نسب جدهم طى إلى قبيلة كهلان اليمنية .

وحتى هذه النسبة يبدو أنها بعيدة جداً حيث أن قبيلة (طى) سكنت (جبل أجأ وسلمى) من بلاد نجد فكانت ديارهم ن دون (قيد) إلى أقصى (القريات) (٢) ولم تسكن فى اليمن ، ومن هنا لا نرى سبباً فى جعلها من القبائل اليمنية إلا إذا اعتبرنا ذلك من خلال جدهم الأول .

ومن الغريب أن يرحل الشيخ ابن عربي إلى شتى بقاع المعمورة دون أن يمرج إلى اليمن، وقد كانت قرية منه جداً حينما كان فى مكة . يقول بلاسيوس وهو يصف رحلات الشيخ أنه رحل إلى مراکش وتونس ومكة ومصر وبغداد والموصل والقدس وأنطاكية ودمشق وحلب وقولبة (٣) . وما كان أقرب من اليمن من كل هذه الأماكن . لولا أن الشيخ ابن عربي قد خفى عن خطورة المجيء

١ — إليك سلسلة نسب الشيخ محيى الدين ابن عربي كما ذكرها أصحاب التراجم :
محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائى الحاتمى الأندلسى المرسى (العهد الثمين
للقاسمى ج ٢ ص ١٦) .

٢ — خير الدين الزركلى : الاعلام ج ٣ ص ٢٢٧ .

٣ — آسبن بالاسيوس . ابن عربي ص ٥٣ .

إلى اليمن وخاصة أنها قد شهدت في هذه الفترة معارك طاحنة بين الدول القديمة والمستحدثة ولا نستبعد ذلك فقد عاصرت هذه المرحلة قيام الدولة الرسولية وماصحها من حروب عنيفة ليس للشيخ ابن عربي قدرة عليها على أن ابن عربي لم يبت كل الوشائج التي تربطه باليمن حيث استعاض عن رحلته إليها باللقاء مع جماعة من علمائها الكبار منهم المحدث اليمني الشهير محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف المتوفى سنة ٦٠٩ الذي ذكر اجتماعه به وأخذه عنه في كتابه (الفتوحات المكية) (١) . وهو اليمني الوحيد الذي صرح باسمه في كتابه .

مدرسة ابن عربي في اليمن

إذا عرفنا هذه الصلة الضعيفة بين شخصية ابن عربي واليمن فسنجد أن اليمن قد عوضت تلك باحتضانها لتعاليمه منذ مدة مبكرة .

وكانت البداية أولا على يد جماعة من الصوفية اتفقوا معه في المشرب الصوفي ولم يكن لهم به صلة . فقد شهد القرن الذي توفي فيه ابن عربي تبلور تعاليم المدرسة (الاشراقية) عند صوفية اليمن الذين قد يكونون متأثرين فيها بالمصادر التي أخذ عنها ابن عربي نفسه، ولا نستبعد ذلك حيث نهد أفكار الحلاج ومن سار في مسلكه قد راجت في اليمن قبل هذا التاريخ بمدة ليست بالقصيرة .

وقد تماطى هذه الفلسفة الصوفية جماعة من رجالات اليمن الكبار كان على رأسهم الصوفي اليمني الكبير أبو الفيث بن جميل الذي حملت كتاباته الصوفية طابع المدرسة الفلسفية سواء إن كان متأثراً فيها بابن عربي — على الرغم من معاصرته له — (٢) أو بأسلافه من الاشرافيين أمثال الحلاج والسمروردي

(١) ابن عربي : الفتوحات المكية ج ١ ص ٧٥٧ .

(٢) ولد الشيخ أبو الفيث سنة ٥٦٠ تقريباً وهي نفس السنة التي ولد فيها ابن عربي على أن أبا الفيث تممر بعد ابن عربي بمدة طويلة .

وغيرهما. وقد اراد الأهدل ابن بنفى الكتاب المنسوب إليه بأقوال لا تعتمد على دليل مدعم بالنصوص يقول (واعلم ان الكتاب المنسوب إلى الشيخ أبي الغيث جميل يقع فيه كـ... مما يشبه مقالات ابن عربي من الاتحاد لكن الكتاب لا يصبح له سند يعتمد عليه لأن المشهور ان الشيخ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف ثقة محقق ضابط كتبه عنه بل جمعه من جمعه من مقالات متفرقة لا تثبت أحادها بروايات عنه صحيحة مسموعة) (١) ويحاول في هذا الصدد أن يرجع نسبة الكتاب إلى الشيخ أبي بكر اليجوي أحد المنتمين إلى مدرسة ابن عربي من المتأخرين (٢) ودهوى أن الشيخ بن جميل كان أميا لا تنفى عنه ان يصنف كتابه بواسطة الإماء على أحد مرديه كما فعل في رده على رسالة الإمام أحمد بن الحسين يقول الجندی (لما وصل كتاب الإمام إلى الشيخ قال لبعض أصحابه اقرأ كتاب الغريف فلما فرغ قال يا غلام على بدواة وقرطاس فلما حضر قال الشيخ اكتب ان ينصركم الله الخ) (٣) وهذا يدلنا على أن الشيخ كان باستطاعته ان يصنف كتابا بواسطة الاملاء كما فعل حين كتب جواب الإمام ولا يصح ان نعتد قول ابن الأهدل مادام الكتاب من رها إلى الشيخ أبي الغيث والمهم أننا نستطيع ان نؤصل تعاليم ابن عربي في اليمن من عصر الشيخ أبي الغيث الذي أدرك حياة ابن عربي وكان قد أثر عنه في كتابه الذي أشار إليه ابن الأهدل ما يشبه أفكار الشيخ ابن عربي مثل قوله (ان الكون كله ضرورة واحدة ظاهرها شريعة وباطنها حقيقة) (٤)

(١) الأهدل : كشف النطاء ص ٢٢٠

(٢) الأهدل : قس المصدر والصفحة .

(٣) الجندی : السلوك (مخطوط) .

(٤) الأهدل : المصدر السابق ص ٢٨٠ .

وقوله (لاشك أن التوفيق شقاء لفتيلة إيمان كل مخلوق على قدر علمه ومعرفته سواء كان موافقا للنبي (ص) أو مخالفا له بقينا)^(١) ومن ذلك قوله (من عرف الله انكسر وجود الخلق وصار أهل الجنة والنار بأمره فهو ما يشاء)^(٢) ومن أقواله في هذا العدد (ان طائر الفقر ينق باسان الازل ويرتل في حال الاحدية)^(٣) إلى غير ذلك من أفكار نجدتها عند اتباع ابن عربي .

ومن الذين يدخلون في زمرة مدرسة ابن عربي من صوفية اليمن القدامى الشيخ أحمد بن علوان المتوفى سنة ٦٦٥ وكتاباتاته هي مزيج من الوعظ الصوفي وبعض الأفكار الفلسفية حتى ان المستشرق ماسينيون عده من جملة أتباع الحلاج^(٤) الذي ييحت غالبا في الوعظ الديني وبعض الأفكار الصوفية الفاضية كما أنمرنا سابقا على أنه استحدث في كتاباته نوعا جديدا من التعبير بلغة غريبة زعم أنها لغة خاصة به ولا يعدو الامر ان يكون من أسباب افراطه في الرياضة ومن نظرة سريعة إلى عناوين كتبه يتضح لك تلك الوجة التي تميز بها تأليف ابن علوان من ذلك كتابه (البحر المشكل الغريب)^(٥) وكتاب (الفتوح المصونة والاسرار المخزونة)^(٦) وكتاب (التوحيد الاكظم)^(٧) وغيره .

(١) المصدر السابق : نفس الصفحة

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) ماسينيون مجلة الورد العدد ٣ سنة ١٣٩٢ ص ٦٢ ، بل نسب إلى ابن علوان كتابا بعنوان ذكرى الحلاج .

(٥) مخطوط بالـ مكتبة الأصفية .

(٦) مخطوط بمجمع تريم بمحضرموت في مجلد ضخمة .

(٧) مخطوط بمكتبة الجامع ٨٥ تصوف : المكتبة الثرية .

وبهذين الرجلين — ابن أبي الفيث وابن علوان — قامت مدرسة الفلسفة الصوفية في اليمن إلا أن قرىهما المباشرة من عصر ابن عربى لم يجعلهما يستفيدا من كتاباته الخاصة وإنما كان ذلك من خلال المشرب الذوقى الذى عرفه به تلاميذ هذه المدرسة وهم ينهلون جميعا من الاتجاه . الذى سار عليه أسلافهم في دهرهم في الحب والقرب وغيره من إشارات الصوفية .

على أن تكون مدرسة ابن عربى في صورتها الحقيقية المنتمية إليه كان في القرن السابع بواسطة أحد القادمين إلى اليمن — ولم يكن للإلهالى يد في نشأتها — إذ تنسب تلاميذ ابن عربى في اليمن إلى قادم هو الصوى أبو الخطاب همر بن عبد الرحمن بن حسان المتوفى سنة ٦٨٨ هـ وقد أتى إلى اليمن بأمر من شيخه نجم الدين الأخضر كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق وكان المقدسى فقيها منطقيا وصل إلى تمر فعين بها مدرسا بمدرسة أم السلطان في مغربة تمر^(١) وهذا الشيخ هو الذى أدخل كتب ابن عربى إلى اليمن ولم تكن معروفة من قبل^(٢) .

وقد ائتمر مكوته في اليمن بظهور جماعة من التلاميذ أمثال محمد بن سالم ابن الباته الذى تعرض بعب مذهب ابن عربى فكان يتباحث هو وشيخه في علوم التصوف بما لا تحتمله العقول^(٣) إلى أن انتج ذلك وجود أول نزاع بين الفقهاء والصوفية كما سنبينه فيما بعد .

وما كاد ابن الباته يتوفى حتى تأنى أفكاره غرسها في شخص تلميذه رضى الدين أبو بكر بن محمد بن عمر البيهوى المعروف بالهزاز يقول

(١) من إحدى أقسام مدينة تمر الرئيسية بعد المدينة والمحالب .

(٢) الأهل كنف النطاء ص ٢١٨ .

(٣) الجندى السلوك مخطوط .

الخزرجي (وبما أخذ عن ابن المقدسي) (١) وقد تصوف وحب أ كابر الصوفية من أهل اليمن وغيرها ثم حج إلى مكة ولقى بها جماعة من مشاهير الصوفية . وفي مكة حصل على مؤلفات ابن عربي وانتسخ كتاب الفترحات المسكية فمكف عليها واعتقد ما فيها ثم عاد إلى اليمن ونشر بها تعاليم ابن عربي .

وهذا الرجل هو من أنشط أنصار ابن عربي في اليمن وأكثرهم خبرة بأمور الملائفة فكان يتقرب إلى (فقهاء تعز وغيرها مع تحققة أنهم يسكروهونه وربما أساؤا إليه وأحسن إليهم) (٢) إلا أنه كانت له مع رجال الدولة علاقة حسنة فلم يستطع الفقهاء أن يمسوه بأذى يقول الخزرجي (وحصل بينه وبين الملك المؤيد اتلاف وصحبه قبل تحول الملك إليه واعتقد صلاحه ولما صار الملك إلى الأشرف تقوف وخرج هو وجماعة من الملتمين إليه من تعز إلى ناحية وصاب . ولم تمض إلا مدة وجيزة حتى مات الأشرف وتولى المؤيد فاستدعاه وأكرمه) (٣) وربما تعاطى شيئاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلافا لوملته من الصوفية فكان يتشدد في إبطال الخنور (وبإشارته انتقلت الأوقاف من أحكام الشرع إلى أرباب الدواوين ولم تكن من قبل إلا إلى أحكام الشرع الشريف) (٤) على أن الأهدل — كما دته في الإنكار على هذه الطائفة من الملتمين إلى ابن عربي - يستريب في هذا المسالك ويقول (لعله فعل ذلك تقرباً إلى الدولة فان عادة هذه الطائفة أعنى أتباع ابن عربي التجبب إلى الدولة حتى يجهلوا السلطان الجائر من الإهدال) (٥) توفي ابن الهراز بعد انتقاله إلى مدينة زبيد

(١) الخزرجي : العقود الأولوية ج ١ ص ٣٨٩ .

(٢) الجندي : السلوك مخطوط .

(٣) الخزرجي طراز أعلام الزمن مخطوط .

(٤) الخزرجي : العقود الأولوية ج ١ ص ٣٨٩ .

(٥) الأهدل : كشف النطاء ص ٢١٨

سنة ٧٠٩ ويقول الناشرى وموت ابن الهراز تنقضى مرحلة أولى من مراحل
أنباع ابن هـ بنى فى اليمن^(١) ولا يتجدد أمرهم الا بعد النصف الثانى من القرن
الثامن الهجرى .

ففى هذا التاريخ يعود شأنهم فى النشاط بأعظم مما سبق ويكون لهم صولة
كبيرة تثير حفاظ الفقهاء وتسبب نزاعا كبيرا أصبح حديث الناس فى وقتهم
ووقت من أتى من بعدهم والذي يهمنا . فى هذا الفصل هو تتبع نشاط مدرسة
ابن عربى فى اليمن دون الالتفات إلى القضايا التاريخية التى تخلصت عن ذلك
فقد استفحل أمر هذه الطائفة الصوفية وأخذوا يتجاسرون فى الدخول فى القضايا
الفلسفية الصوفية بمعرفة وبدون معرفة وأغلب الظن أنه ينطبق عليهم وصف
الامام يحيى بن حمزة فى حديثه عن غرور الصوفية يقول (أدعوا علوم المعرفة
ومشاهدة الحق ومجازة المقامات والأحوال ولا يعرفون هذه الأمور إلا
بالاسامى وبمجرد العبارات ولا يحيطون بشئ من معانيها بل قد يلقطوا من كلمات
الصوفية وهم يرددونها ويظنون أن ذلك علم من علوم الاولين والآخرين^(٢)
بل قد وصل بهم الامر فى الدخول فى هذه المسألة إلى أن جماعة من صوفية زبيد
(كانوا يتعاطون الخمر ويقوموا أحدهم للآخر وعزى لأن تعطينر الكأس لا رسلك
إلى خلقى أو نحو ذلك وأن بعضهم يقول للآخر سبحانه وإن رجلا عاب رجلا
عندهم فقالوا له انسب الله وإن بعضهم يقول هذا الجدار هو الله^(٣) إلى غير
ذلك من أمورهم التى أدى إليها فهمهم الخاطى للتصوف الفلسفى والغلو فى

(١) الاحمدل : المصدر السابق نقلا عن الناشرى فى كتابه الفرور والدرر فى
الانساب والسير .

(٢) يحيى بن حمزة التصفية مخطوط .

(٣) الاحمدل : كشف الغطاء ص ٢١٤ .

استعمال نظرياته المعروفة هند أبايع ابن عربي وهذا يدلنا على أن تلك الفلسفة قد شاعت حتى عند عامة الصوفية بدليل تلك الأفعال الطائشة التي لا تصدر إلا من جماعة العوام .

وكانت مدينة زبيد مصدر ذلك الرواج الكبير لنقاط الصوفية من أنصار ابن عربي وذلك على أثر احتضان أكابر صوفيتها المعتبرين كالشيخ اسماعيل الجبرتي لجماعة من أتباع ابن عربي وبعض تلامذته أمثال ابن الرداد والمزجاجي مع أن هؤلاء يجب أن يبرؤوا من أفكار ابن عربي لعدم مهاركتهم فيها ولم يصمم بها أحد من الذين أرخوا لهم حتى خصومهم^(١) الذين طعنوا عليهم في سلوكهم بتقريبهم أتباع ابن عربي والتورود إليهم، وأغلب الظن أن نقاط تعاليم ابن عربي في مدينة زبيد لا يعود إلى أكابر متصوفها بقدر ما يعود إلى الصوفية القادريين إليها من بلدان مختلفة وقد رأينا فيما سبق كيف أن المقدسي القادم من بيت المقدس أول من أسس طائفة من الصوفية منتمة إلى ابن عربي، وعلى هذا التقدير يمكننا أن نرجع انقصار تعاليم ابن عربي وإحيائها للمرة الثانية خلال القرنين الثامن والتاسع إلى قادم آخر هو الشيخ عبد الكريم الجيلبي المتوفى سنة ٨٠٥ الذي يعد من أكابر الفلاسفة المتصوفين ويكنى أن نعلم أن كناهه (الإنسان الكامل) يعد دستور المتصوفين الذين شاركوا ابن عربي في فلسفته . وقد اعتبره ابن الأهدل (من قدماء أصحاب الشيخ الجبرتي)^(٢) ويقول في وصفه (هو أحسنكم في ذلك البحر — يعني القول بالاعتقاد وحدة الوجود — وقد اجتمعت به قبل ألأحرف مذهبه بأبيات حسين . حكى لي عنه فقيه صادق أنه صحبه في بعض أسفاره فسمع منه الثناء العظيم على ابن عربي وعلمه وكتبه وسمع منه التصریح برؤية كل

(١) المصدر السابق .

(٢) الأهدل : تحفة الزمن (خطوط)

من إلقاء في الطريق من إنسان أو طائر أو شجر) (١) وسندرك خطورة هذا الرجل إذا عرفنا أن كتبه تسبح في فلك فلسفة ابن عربي وأن بعضها ليس إلا شرح عليها أو تمكّلة لها ككتابه . (الأسفار من رسالة الأنوار) (٢) .

اتباع ابن عربي في القرن التاسع

على أنا إذا تتبعنا أسماء المنتمين إلى مدرسة ابن عربي من أهل اليمن خلال هذه الفترة فسنجدهم جماعة من الصوفية تشبهوا بحب ابن عربي دون أن يكلفوا أنفسهم فهم مذهبه وما وصل إليه ومن ثم أتى انتمائهم إليه مجرد أعجاب شكلي لا يتعدى المضمون فهم لم يدخلوا معه في مشاركات علمية أضيف جديدا إلى هذه الفلسفة لا من حيث المشاركة في التصنيف ولا من خلال المناقشات العلمية .

وقد ظهر من شاكّة هؤلاء جماعة كثيرة سنكتفي منهم بذكر أولئك الذين عاصروا معمة النزاع بين الفقهاء والصوفية ، وسنعتبر ثبات أولئك على مبدأهم الصوفي دليل قوي على انتمائهم لمدرسة ابن عربي وتشبّثهم بتماليمة .

فمن هؤلاء الصوفي اليمني أحمد المعبيدي الذي لم نفلح له بترجمة خاصة وهو غير الوزير أحمد بن عمر بن معبيد الذي تولى الوزارة للملك الأفضل سنة ٧٩١ وامتدحه ابن المقرئ في ديوانه (٣) وترجم له الخرجي وباء بخربة (٤) أما المعبيدي المقصود هنا فقد أشار إليه الأمدل في تاريخه وعده من أصحاب الشيخ اسماعيل الجبرتي وقال (هو من أهلكم صح عنه أنه قام في سماع وأخذ الدف وقال هذا عندي أفضل من منهاج النووي) (٥) وفي موضع آخر وصفه بأنه من أهل

(١) الأمدل : كشف الغطاء ص ٢١٤ .

(٢) رسالة الأنوار من مؤلفات ابن عربي .

(٣) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ١٦٥

(٤) بامخرمة : تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١١

(٥) الأمدل تحفة للزمن (مخطوط) ويعني بمنهاج النووي كتاب (منهاج الطالبين من أمهات كتب الغافية في الفقه تأليف العلامة يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦ .

أصحاب الجبرتي بكتب ابن عربي . توفي في حدود سنة ٨١٥ هـ . -
ولعل هذا الرجل هو أكثر زملائه معرفة بعالم ابن عربي بدليل تلك الحلة
التي شنها عليه ابن الأهدل ووصفه له بالإطلاع على كتب ابن عربي وفهمها .

أما بقية الذين عاصروه من المنتمين إلى مدرسة ابن عربي فهم الذين وافقوه
من حيث الشكل كما أشرنا سابقا وقد ذكر الزجاجي جماعة منهم كالشيخ عبد الله
ابن عمر المسن . من أصحاب الشيخ الجبرتي وربما وقف عنده الأشهر الطويلة
وكان من العلماء المتفنيين والأولياء الكبار (وله فهم صحيح في كتب الشيخ
ابن عربي وحصل منها عدة كتب ككتاب (الفصوص) وشرحه للشيخ
مريد الدين الجندی وشيء من الفتوحات المكية وغير ذلك لما انضج له فيها
من الفهم وتحقق المعنى وصحته عنده وكان له في للشيخ محي الدين ابن عربي
اعتقاد حسن (١) .

ومن هؤلاء الشيخ قطب الدين مزاحم بن أحمد بامزاحم من أهل مدينة
(بروم) القريبة من مدينة الشعر وكان يتردد إلى مدينة زبيد للاجتماع بالشيخ
اسماعيل الجبرتي (واستعار منه كتاب الفتوحات المكية ، للشيخ محي الدين
ابن عربي ونقله في مدة قريبة) (٢) .

وآخر من نذكرهم من أصحاب ابن عربي المنتمين إليه روحيا من أهل
اليمن الشيخ عبد اللطيف بن محمد بن إبراهيم الواصل وقد سعى إلى مكة لغرض
الحصول على نسخة كاملة من كتاب الفتوحات المكية وكان قد (سافر من مدينة
زبيد إلى مكة المشرفة على قدم التجريد لا يملك شيئا من المال ثم أنه حصله بخطه

(١) الزجاجي : نهاية السالك (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق .

في سنة واحدة (١).

ولا نجد فيما اوردناه من تراجم هؤلاء ما يوحى لنا بمشاركتهم في تعاليم ابن عربي من خلال الكتابة والمناقشة ، وكل ما في الامر لا يعدو تأييد أن يكون شكلياً لعكر ابن عربي والتقرب إليه عن طريق اقتناء كتبه واظهار الاعجاب بخصيسته كما اسلفنا سابقاً وامل بعد هؤلاء عن المشاركة في تراث ابن عربي يعود إلى سيبين رئيسيين لا ثالث لهما إما لقصور افهامهم عن استيعاب ما وصل إليه ابن عربي من أفكار فلسفية معقدة وأحياناً مضطربة .. وأما تحاشيا من غضبة الفقهاء نحورهم وخاصة وأنهم عاصروا شدة نفور الفقهاء واظهار الأفكار عليهم : وقد رأينا ابن الرداد وهو في مركز القوة (حيث تولى زمام القضاء العام) يساهم بما يشبه المشاركة في تعاليم ابن عربي حيث عدله ابن الاهدل عدة مسائل بما فيها منحى ابن عربي كقوله (بهواز انصاف العبد بصفات ذات الحق تعالى) (٢) وقوله (يقدم الفقر وانصافه بصفات الازلية) (٣) ومن مسائله أيضاً (تحقير قول لا اله الا الله) (٤) بل نجد له رسالة مفردة عاج فيها مسائل الصوفية بكل شجاعة (٥).

ويقول ابن حجران (شعر ابن الرداد ينفع بالانحيا وأنه افسد عقائد كثير من الناس) (٦).

وكان ابن الرداد حين رأى عجز فريق الصوفية عن مجابهة الفقهاء اضطر إلى ان ينوب عنهم بعد أن ضمن لنفسه اكبر سلطة يمكن ان تحكم عليه وهي سلطة القضاء الاكبر . وكذا كتب ابن الرداد مؤلفاته تلك وهو في شجاعة امة .

(١) المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ، (٣) ، (٤) الاهدل : تحفة الزمان (مخطوط) .

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .

(٦) ابن حجر ابناء الفهر ج ٣ ص ٢٧٨ .

أسباب انتشار فكر ابن عربي خلال هذه الفترة

على الرغم من عدم وجود العلماء المنتجين من مدرسة ابن عربي فقد حظى ترائه في اليمن باقبال كبير . وقد المحنا فيما سبق إلى إنتشار تعاليم ابن عربي في مدينة زبيد خلال القرن الثامن والتامع حتى أصبحت كتاباته مهاج لكل طوائف الصوفية باليمن بما فيهم أولئك العوام الذين ارتكبوا هفوات يرى منها للصوفية أنفسهم ولا تعليل لذلك سوى هذا الإقبال الشامل الذي لقيه فذكر ابن عربي .

ولقائل ان يقول ما لمر في انتشار تعاليم ابن عربي وكثرة انصاره خلال هذه الفترة من دون غيرها من الفترات مع تصدى الفقهاء لهم ومضايقتهم في أكثر الاحيان . وهذا السؤال أول ما يبادر إلى الذهن حينما ندرك ذلك النزاع الشديد بين الفريقين أثناء هذه المرحلة .

على اننى سأحصر أسبابه في أمرين رئيسيين : -

أولهما : كثرة الوافدين إلى مدينة زبيد واليمن عامة خلال العصر الرسول بما يحمله أولئك من نحل وأفكار مختلفة وقد أقرأ في صور دراويش ورهاد متسككين فاعتقدتهم العامة وأصبحوا موضع احترام حتى إذا تمكنوا من نفوسهم بلثوا فيهم الافكار الصوفية بما فيها تلك العقائد الفلسفية ومن هنا جاء قبول العامة للتصوف وانتشاره بمدينة زبيد وسنرى في فصل مستقل كيف كان أثر هؤلاء القادمون على الحياة الصوفية في اليمن وتحويلهم لتعاليم ابن عربي وغيره من صوفية الفلاسفة الإسلاميين

ثانيا : ذلك الانفتاح التام الذي عرفته هذه الفترة ووجود الحرية الكاملة في استيراد شتى الثقافات وقد غصت زبيد في عصرها الذهبي خلال حكم بنى

رسول بكثير من الافكار التي تحملها الكتب المختلفة الاتجاهات بما فيها كتب ابن عربي وإتباعه وقد ذكر الاهدل جماعة من الصوفية الذين استقدموا كتب ابن عربي من بلدان مختلفة واهتوا بها العناية التامة أمثال المازجاى الذى يقول عنه ابن الاهدل — حصل كتب هذه الطائفة — أى إتباع ابن عربي لقوته على ذلك باليسار فحصل الفصوص وشروحه والفتوحات المكية وغير ذلك من كتب تلك الطائفة فأولع الصوفية بمطالعتها (على ان المازجاى يعترف هو نفسه باقتناء هذه الكتب ويدكر ذلك فى معرض كلامه مفتخرا كذكره قصة حصوله على نسخه كامله من كتاب الفتوحات المكية ودخولها مدينة زبيد يقول أثناء حديثه عن الواسطى السابق الذكر) وكنت قد حصلت نسخة كامله بمدينة زبيد من كتاب الفتوحات وجدها عند الفقيه شهاب الدين أحمد الفارسى (٢) .

ولم ينحصر لإقتناء كتب ابن عربي على فئة الصوفية وحدهم بل نجدها فى خزائن ملوك بنى رسول وقد ذكر المازجاى أنه توجد نسخة من (الفتوحات المكية) بمكتبة السلطان الناصر بخط مؤلفها يقول فى حديثه عن الماراغى (وقد حصل من الفتوحات نسخه جيده لنفسه ثم قابل النسخة وضبطها واجتهد فيها غاية الاجتهاد واتفق لنا وله نسخة من الفتوحات المكية من مولانا السلطان الملك الناصر اهاننا أياها لتقابل عليها من الخزانة المعمورة وعلى اجزاء منها خط المصنف الشيخ ابن عربي) (٣) ويؤيده فى هذا الصدد معاصره الشيخ المرشد إبراهيم ابن عبد القادر القارى البغدادى الذى زار اليمن وذكر (أنه اجتمع فى خزانة الناصر على مابلغنى من مصنفات الشيخ ابن عربي عالم يجتمع فى خزانة غيره من

(١) الاهدل : نعمة الزمن (مخطوطا)

(٢) المازجاى : هدية السالك .

(٣) المصدر السابق .

آبائه السلاطين المتقدمين كالاشرف والافضل والمجاهد والمؤيد والمظفر
والمنصور (١).

ثم طغت موجة كتب ابن عربي في مدينة زبيد وأصبح الناس يجدونها في
الاسواق تباع وتشترى — كما يقول ابن المقرئ مخاطباً فقهاء عصره
تباع وتقرئ هذه الكتب فيكم وأنتم سواء والذي في المقابر (٢)

(١) القارى مناقب ابن عربي ص ٦٤ .

(٢) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ١٤ .

النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن

نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية خارج اليمن

كان القرن الثالث الهجري سر النقاشات وازدهار الفكر الإسلامي وفي نفس الوقت كان زمن منافسة وجدال عنيف بين أصحاب المذاهب والفرق الطارئة على الاسلام وقد اشتهر في هذا الوقت جدال طمء المسلمين للزنادقة وأصحاب الديانات المختلفة .

وقد خفت حدة النقاش بين المذاهب الإسلامية نفسها لضرورة التعاون الكلى أمام التحديات السافرة من قبل أصحاب الاديان الاخرى في حين كان من المحتمل أن يكون هناك صراع بين تلك المذاهب الإسلامية نظراً لأنها كانت في طور الازدهار والمصارعة من أجل البقاء .

ومع ذلك لم نجد هناك نزاعاً حقيقياً إلا ما كان يدور حول مسائل فقهية بسيطة لا تؤدى في كثير من الاحيان إلى احتكاك شديد .

ومن هذا النقاش ما جرى في ذلك العصر بين الصوفية وأهل السنة وهو أول صراع يدور بين هاتين الطائفتين وقد تزعم ريادته طائفة الخنابلة الذين عرفوا بكفاحهم الشديد حول العقيدة الإسلامية .

وكان الإمام أحمد بن حنبل المنعوب إليه هذا المذهب هو أول شخصية في الاسلام تنهت لسطط الصوفية وانحرافهم وقد رأيناهم يتم بعض المنتهين إلى المذهب الصوفى وبصمهم بالخروج عن الدين نهائياً ويقال أنه لما سمع المحاسبي — أحد الصوفية في عصره — يتحدث في شيء من علم الكلام والصفات مجره

فاختفى المحاسبى فى بيته إلى أن مات وكان ابن حنبل يقول (احذروا من الحارث
— يعنى المحاسبى — أشد التحذير وكان يقول لاصحابه بعد أن سمع بعض
كلامه لا ارى لكم ان تهالسوه (١) .

وهكذا كان الإمام أحمد بن حنبل أول من أثار النزاع بين الصوفية والفقهاء
ثم تآلى بعد ذلك الانكار على هؤلاء من قبل العلماء ففى مصر انكر الإمام
عبد الله بن عبد الحكم المتوفى ٢١٤ على ذى النون المصرى فهجره بذلك علماء مصر
لما شاع أنه احدث علما لم يتكلم به السلف حتى رموه بالزندقة (٢) .

وفى دمشق نفى أبى سليمان الدارنى حين سمع منه أنه يرى الملائكة وأنهم
يكلمونه وكذلك هرب أحمد بن أبى الحوارى لما شهد عليه القوم أنه يفضل الأولياء
على الأنبياء (٣) .

ويستمر هذا الحال بالنسبة لسائر البلاد الإسلامية كبغداد والاندلس
والمغرب وغيرها .

على أن مبتدأ إنكار الفقهاء على الصوفية يرتبط أساسا بتلك الافكار التى
احدثوها مما جعلت العلماء المتمسكين بالفرقة يرون فى افكارهم الفلسفية
خطراً يهدد حى الدين وحتى لا يخطر الزمام وتصبح أصول العقيدة الثابتة
لكل من هب من عامة الصوفية والمندسين فيهم يتلاعبون بها وفق خواطرهم
وهو اجسهم

وقد نشأت هذه الحادثة فى التصوف أو الامر على يد الحارث المحاسبى
فى القرن الثالث الذى استعمل فى بعض كتيبه مصطلحات الديانة المسيحية

(١) ابن الجوزى : تلبس ابليس س ١٨٧ .

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة .

(٣) نفس المصدر .

(مما يدل دلالة واضحة على تأثره بالنصرانية) (١) .

ثم ظهر بعده جماعة من الصوفية تكلموا في التوحيد والعقائد فخطبوا فيها وأماروا عليهم حفاظ العلماء حتى كان منهم ما كان ويقال أن أول من تكلم في علم العقائد والتوحيد من الصوفية هو أبو الحسن السري المتوفى سنة ٢٥٣ هـ الذى يقال أنه أول من تكلم في المقامات والأحوال وكذلك أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي المتوفى سنة ٢٧٠ هـ الذى كان أول من استحدث مصطلحات الصوفية المستعملة عندهم ثم تتابع جيل الصوفية من المتفلسفة حول خاطراتهم الصوفية فظهر فيهم صوفية كبار طوروا هذا المذهب أمثال أبو يزيد البسطامى الذى أحدث لفظة (السكر) وأبو سعيد الخراز الذى كان أول من تكلم فى (الفناء) وحدوث القصار الذى ابتدع طريق الملامه وعنه انتشر مذهب الملامتية فى نيسابور وغيره كثيرون .

حتى أن هؤلاء الصوفية نجدهم قد خرجوا عن طريقهم الأولى التى هم مرافقة سلوكهم مع الله والخوف منه مع رغبة خالصة فى العبادة والزهد وقد تحولوا من كل هذا إلى فلسفات ومناهج تكاد تخرجهم عن سنن الدين الواضح ، هذا مع أنه (لم يكن فى مذهب أولئك القوم أول أمرهم شىء من مذاهب الذين جاؤوا بعدهم) (٢) .

وإذا تحققت هذه المسألة فلا غرابة أن يتعدد بعد ذلك الفقهاء على الصوفية باعتبار أنهم قد خرجوا عن القاعدة الشرعية فكان منهم ما كان حتى وصفت المسألة ذروتها بمقتل الحلاج وما حدث بعد ذلك فى أمره من نزاع ومشاوذه لانهب أن نخوض فيها لمصورتها ويكفى أن نشير إلى مقدمات جرت للفقهاء فى

(١) آدم مئز الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع هـ هذا قوله ولعل فيه بعض القس على هذا الإمام الجليل فيجب التحقق من هذه التهمة فى كتيبه .
(٢) المصدر السابق

امتحان الصوفية وكانت سيار رئيسيا في تطور النزاع بينهما . وقد شهد القرن الثالث أول بوادر هذا الشقاق وهو القرن الذهبي بالنسبة لازدهار التصوف ونماؤه ففيه ظهر كبار مشائخهم المرجوع إليهم ومع ذلك لم يكن بهرج الصوفية وإيها ماتهم مما يندرج له الفقهاء فقد قدمنا فيما سبق أنهم انكروا على المحاسبين وذى النون المصرى والدارنى وغيرهم بعض من سلوكهم الصوفى وهؤلاء هم الجيل الأول من الصوفية الذين سلكوا النهج الفلسفى فى تصوفهم وقد عاصروهم جماعة من الصوفية لقوا نصيبتهم من المعارضة فهذا أها يزيد البسطامى كان يقول لى معراج كما كان للنبي (ص) معراج فذكر ذلك للفقهاء حسين بن عيسى ، فأمر بإخراجه من بسطام وظل مختفياً فى مكة حتى توفى هذا الفقهاء ومن أوائل الصوفية الذين تعرضوا للمحنة سهل بن عبد الله التستري الذى لقي من الناس مضايقة إلى أن اضطروه إلى الهجرة من مدينته وغيرهما كثير ويكفى أن تعلم أن بوادر النزاع بين الفريقين قد حدثت عند استكمال الصوفية تعاليمهم الفلسفية خلال القرن الثالث فكان (أهل السنة المتمسكين بالنزعة القديمة (السلفية) ينكرون على الصوفية تقديس الأولياء فى حين كان هؤلاء يزددونهم ويشنعون عليهم بأنهم مشبهة بـ (روبة) (١) . وكالما تطور الصوفية فى علومهم كلما اتسعت هوة الشقاق بين الفريقين وقد خلف لنا التاريخ الإسلامى أحداثا كثيرة فى ذلك لا أراى فى حاجة إلى ذكرها إذ الموضوع من الضخامة بحيث يستحق أن يفرد ببحث مستقل ومع ذلك فسأتابع هنا هذه الناحية من زواياها الرئيسية لمعرفة كيف واصلت الخصومة سيرها حتى انتهى بها المطاف إلى اليمن عند قوة الصوفية وضعف الفقهاء أو العكس .

وسيلذكر تاريخ النزاع بأسماء أعلامه من الفقهاء الذين تصدوا للرد على الصوفية وعلى رأسهم الفقيه الجليل المحدث الامام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ الذى لمنا فيما سبق إلى شىء من نزاعه مع المحاسبى وإنكاره عليه وتلاه جماعة من المتكرين على الصوفية منهم أولئك نفر الذين اقتوا بقتل الحلاج وتليذه

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٨ .

ابن السلماني وبذكرون من هؤلاء الفقيه أبا عمر القاضى وهو أول من أفتى
بقتل الحلاج وشاركه في هذه الفتوى داود الظاهري وجماعة من فقهاء القرن الثالث بل
لم يقتصر الأمر على الفقهاء وحدهم فقد تعداهم إلى طائفة الصوفية أنفسهم من
المعتدلين الذين استهجنوا تلك الأفكار الشاطحة من قبل الحلاج واضرا به أمثال
الجنيد الذى يقال أنه كان من ضمن المفتين بقتل الحلاج والصوفي عمرو بن عثمان
وابن سريج وغيرهم (١).

ويمل ابن الأهدل في القرن التاسع مسلك أولئك الرواد من المفكرين على
الصوفية في القرن الثالث الهجرى بقتلهم الحلاج فيقول (لا شك أن من شهد
الواقعة وعلم القصة فهو أعرف بالحال من المتأخرين فلولا أن الذين شهدوا
الواقعة تحققوا حاله وثبت على الوجه الشرعى ما يقتضى القتل ما قتلوه ولا صلبوه
معاذ الله أن يظن ذلك بعلماء الشريعة على رؤوس الأشهاد فكان ذلك إجماعا
وصوابا فلا ريب في تكفيره (٢).

ويأتى هذا الكلام بقصد قطع الأقاويل التى ترى تسرع الفقهاء في ذلك
الوقت بقتل الحلاج وقد جاء مثل هذا القول في كلام المتأخرين من الصوفية
وبعض الفقهاء .

على أن بدعة الحلاج قد انتشرت شأنها وأخذت في التفشى إلى أن وصلت أقاصى
المغرب ولم تعد محصورة في نطاقها الشرقي إذ وجدت لها هذه المدرسة تؤصل جذورها
في الأندلس من خلال جماعة من معتققي المذهب الحلولي في القرن الرابع الهجرى
أمثال ابن مسرة الذى اقتبس منه ابن عربى مذهبه الفلسفى منذ مدة مبكرة .
وكان ظهور المنكرين من الفقهاء ضرورة حتمية أمام التوسع الفلسفى للصوفية

(١) الأهدل: كشف النطاء ص ٢٤٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٠ .

في تلك الاصقاع فكان يزور الفقيه اللخري محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ كمنكر واظهار ذلك في كتابه المسمى (هتك ستور الملاحدين)^(١) الذي رد فيه على فلسفة ابن مسرة بـ ٥٠٠٠ بداية حسنة تعطينا دليلاً قاطعاً على إنكار الفقهاء في تلك الاصقاع على الصوفية ولا أغالى إذا قلت أن كتاب الزبيدي هو أول مؤلف خصص في الرد على الصوفية وفلسفاتهم النظرية .

ومكذا نرى أن عنة الصوفية بالفلسفة قد همت جميع الأوساط الإسلامية شرقياً وغربياً وما صاحب هذه الفلسفة من إنكار وتبعية من قبل الفقهاء الذين لم يسلموا لهم نظرياتهم حتى لا تنكاد تنتهي إلى العصور المتأخرة (القرن السابع وما بعده) إذ يطالعنا جمهور كبير من المنكرين كل منهم قد أخذ بجانب من الرد على الصوفية وقد ساعد على ذلك ظهور مؤلفات ابن عربي وانتشارها بين أيدي الناس فكان من السهل الوقوف على أدق نظرياتهم بعد أن كان جيلهم الأول يتخفى بها ويرى التباين بين العلماء خشية من الاحتكاك معهم في قضايا كلامية تجعلهم فيها هو أشد ومن هنا جاء ذلك الحشد الكبير من العلماء المنكرين على الصوفية الذين قاموا شهرتهم على هذه الناحية لعل أذهارهم العلامة نقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ومن تلامذتهم في الحقيقة مغتربون من بحره وإبن تيمية يعتبر مدرسة قائمة بذاتها في نقد الصوفية

(١) أنظر مقدمة تحقيق (كتاب الواضح في علم العربية) للزبيدي تحقيق أمين على السيد ص ٣٢ ومن الفقهاء الذين ناصبوا اتباع ابن مسرة العداء وردوا عليهم الفقيه عماد بن يمين زرب المتوفى سنة ٣٨١ هـ يقول من ترجم له (تتبع أصحاب ابن مسرة الاستتابة من يعتقد مذهبه وأحرق ما وجد عندهم من كتبه ووضع كتاباً في الرد على ابن مسرة ونقض آرائه (الأعلام ج ٧ ص ٣٦٠) وحول موضوع ابن مسرة وقيام الفقهاء ضده في الأندلس برامج كتاب (شيوخ العصر في الأندلس) للدكتور حسين مؤنس ص ٦٣ — ٦٥ .

وكانت منهلاً رئيسياً لكل من تصدى للرد على هذه الطائفة بما فيهم علماء اليمن الذين هتفوا بالرد على الصوفية . والمتأمل لكتابات هؤلاء في هذا الصدد يجد أثر ابن تيمية واضعاً عليهم . حتى أن هذا الاعتماد الكلي كان دافعاً لأحد صوفية اليمن إلى القول بأن المنكرين على الصوفية ليسوا إلا تبعاً لأن تيمية يقولون بقوله ويوافقون على الخطأ والصواب^(١) بل إن هذا الصوفى — وهو العلامة محمد بن محمد المزجاجى — يرجع مبتدأ الإنكار على الصوفية إلى هذا الرجل^(٢) أهنى به ابن تيمية وهو قول فيه بعض الغلو ومجانبة الحقيقة إذ نجد الإنكار على الصوفية يعود إلى ما قبل عصر ابن تيمية بزمان طويل كما أسلفنا ذلك فيما سبق . وقد تركزت نظرية ابن تيمية في نقد الصوفية على دراسة مؤلفات ابن عربى وتنفيذ محتوياتها المخالفة وهو الذى أثار عليه قضايا رئيسية ردها كل من أتى من بعده من المنكرين على الصوفية فكان العلامة ابن تيمية أول السابقين بكشفها .

ثم تبع ابن تيمية وعيل آخر من المنكرين منهم من أدركه وأخذ عليه كالعلامة محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨هـ وإسماعيل بن عمر ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ ومحمد بن أبى بكر ابن القيم الجوزى المتوفى سنة ٧٥١هـ^(٣) ومنهم من

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) المصدر السابق (مخطوط) .

(٣) تراجم هذه المسائل التى أثارها ابن تيمية فى كتبه التى خصصها فى الرد على ابن عربى كـ كتابه (الطريق الأقوم فى الرد على نفوس الحكم) و (الفرقان بين أوليا الرحمن وأولياء الشيطان) وفتاواه المختلفة .

(٣) من الغريب أن يأتى أكثر المنتقدين على الصوفية من المذهب الحنبلى فكأنهم بهذا المسلك قد قلدوا إمام مذهبهم الذى كان أول من انتقد الصوفية ولا غرابة فى ذلك فالحنابلة كما يقول الدكتور عدنان زرزور (تضيق صدورهم بمن عداهم من أهل المذاهب الأخرى) انظر كتاب (الحاكم الجسمى) ص ٤٧ .

وحول هذه المسألة يراجع بحثنا المخطوط بعنوان (ثورات الحنابلة) .

تأخر عصره عنه إلا أنهم في عمومهم يحومون حول السبيل الذي حام حوله ابن تيمية وينفصلهم فيما يلي .

ففى القرن الثامن — وهو القرن الذى تلا جيل ابن تيمية — انفجرت معركة حامية الوطيس بين الفقهاء والصوفية فى مصر والشام وذلك كنتيجة حتمية للأفكار التى بنىها ابن تيمية فى التأليب على الصوفية . ونبع فى هذا العصر أفئدة من الفقهاء كان لهم دور رئيسى فى جدال الصوفية وموقف لا ينسئ وسنقدر أهمية هذا الموقف وبعده العميق إذا أدركنا أن هذا العصر كان يمثل انتصار الصوفية على الفقهاء ورجحان كفتهم فى نزاعهم معهم الذى سيكون بداية هود أمنة للصوفية يارسون فيها شتى شعاراتهم بعيدا عن إنكار الفقهاء وإقلاقهم ، ومع ذلك فقد كان لمدرسة الحديث التى أحيا رسومها العلامة أحمد بن على بن حنبل فى القرن التاسع فى مصر والشام أثر فى عودة الناس إلى الكتاب والسنة ونبتذ البدع التى طرأت على المتمدنين من أهل هذا القرن وقد نبغ على يده جماعة من المذكرين على الصوفية الذين تشبعوا بتعاليمه ومنهجه فى العودة بالناس إلى الأصول الإسلامية الأولى ومن هنا جاء نفر من التلامذة الأقوياء فطبقوا فكر شيخهم فى الإنكار على الصوفية كالعلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعى المتوفى سنة ٨٨٥هـ والعلامة عمر بن رسلان البلقينى المتوفى سنة ٨٠٥هـ وعبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦هـ وغيرهم كثير إلا أن هؤلاء كانوا أشهر من اعترض على الصوفية وكانت كتاباتهم مصدر قلق شديد للصوفية وقد تصدروا الرد عليهم فى أكثر من مناسبة من ذلك أنه لما أشتهر مؤلف البقاعى فى الرد على الصوفية المسمى (تنبيه القبي بتفكير عمر بن الفارض وابن عربى) أثار هذا الكتاب المتصورة فأخذوا يظلمون فى ذمه المقطعات الكثيرة وقد انتشرت حتى أصبحت تقال بين العامة كقول المنصورى : « أحد شعرائهم » :

إن البقاعى بما قد قاله مطلب

لا تحسبوه سالما فقلبه يعاقب

وهو فى هذه الآيات يشير إلى تلك الخصومة التى وقعت بين ابى وأحد مرهوى ابن عربى وهو الشيخ عود الوهاب بن محمد بن التاج الذى كان من كبار أتباع ابن عربى ومناصريه حتى وصفه أحد معاصريه (بأنه كان يطوف بكلام ابن عربى على المجالس وفى الأسواق ويصرح باعتقاده بل قيل أنه صنف فى إيمان فرعون وكذا رد على البقاعى) (١) .

وما تلك الخصومة التى جرت بين الرجلين سوى مثال بسيط لتلك المجادلات التى عمت أوساط المثقفين خلال القرن التاسع وما بعده وقبلما يطلو عالم من الخوض فى هذه المسألة حتى إننا نجد العلامة شمس الدين السخاوى من أهل ذلك القرن يعيب على كثير من الذين ترجم لهم (٢) تأييدهم لابن عربى والمشاركة له فى حارمه فى حين يذكر الذين أنكروا عليه بالثناء والتقدير ولا غرامة فى ذلك فالرجل كان من أبرز العلماء الذين انتجتهم مدرسة ابن حجر العسقلانى وهو نفسه قد وضع كتابا حافلا فى الرد على ابن عربى (٣) .

وهكذا انتشرت قضية ابن عربى وأصبحت مما يؤرخ له بالسنين . يقول ابن اياس فى حوادث سنة ٨٧٥ (وفيها نشبت بين العلماء معركة فى أمر ابن الفارض وابن عربى كانت حامية الوطيس إذ ألقت الكتب ووضعت المصنفات فى نفسية بل تكفيره لمخالفته ظاهر الشريعة كما ألقت كذلك كتب فى الدفاع عنه ودحض

(١) السخاوى: الضوء اللامع ج ٥ ص ١١١

(٢) فى كتابه الضوء اللامع السالف الذكر .

(٣) عنوان هذا الكتاب هو (الرد على المتنبي عن ترجمة ابن عربى) وسبأى ذكره

فيا بعد .

كلام المعارضين عليه والمكفرين له) ومن الذين نقضوا عليه في هذه السنة برهان الدين البقاعي وابن الشحنة وغيرهما كثير ومن مؤيديه والمنصفين له الشيبغ زكريا الانصارى والشيبغ الجلال ابن الكمال الاسيوطى وغيرهما . وذكر ابن اياس كتبنا في الرد على من انتقد عليه ككتاب قمع المعارض في الرد على من انتقد ابن الفارض للسيوطى ودرياق الافاعى في الرد على البقاعي لبعض العلماء ومؤلف آخر للبدر ابن الفرسى (١) .

وفي هذا النص نجد دليلا حاسما على أن مسألة ابن عربى أصبحت من القضايا الهامة التى مهضمت الرأى العام خلال القرن التاسع مما دفع العلماء المحافظين إلى الخروج فيها بكل قواهم .

على أن هذا القرن كان بمثابة الانتفاضة الأخيرة في وجه الصوفية ولم نعد نعهد ذلك التكتل المشهود الذى يقوم به العلماء ضدهم وذلك بعد أن طغت موجة التسليم للصوفية والاستحسان لتعاليمهم بما فيها تلك المقائد (الشاطحة) . وكان القرن العاشر والذى يليه هو عصر سلطة الصوفية وتقديس العامة لهم وقد اشتد نفوذهم على أثر احتضان ملوك آل عثمان (٢) لتعاليمهم فلم يظهر هناك صوت يذكر في الإنكار على الصوفية حتى انتهى بهم الامر إلى التماهى في رسومهم الصوفية والايقال في فكر ابن عربى دون خشية من سلطة الفقهاء لإياس وغيرهم .

(١) ابن إياس — بدائم الزهور ج ٣ ص ٤٧ . (تقلا عن كتاب الأدب الصوفى فى القرن السابع) لصافى حسين ص ١٠٤ .

(٢) يقول بلاسيوس (زاد سلاطين آل عثمان الاجلال لابن عربى لاذ نسبوا الى بركاته وشفاعته الفضل فى جيم ما ظفروا به من انتصارات وخصوصا فتح القسطنطينية واعتقدوا ان ابن عربى تنبأ بهذا الفتح لهذا فان سليم خان أمر ببناء مسجدا باسمه وبناء مدرسة كبيرة على ضريحه) . انظر كتاب ابن عربى: حياته ومذهبه ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٩٥ .

« نشأة النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن »

يتطرح لنا مما سبق أن النزاع بين الفقهاء والصوفية كان أمراً شائعاً عرفتة المجتمعات الإسلامية من قبل ، وليس ظاهرة انفرد بها الفكر اليمني وحده ففي الشام ومصر كان أمره أقوى مما عليه في اليمن وخاصة أثناء الفترة التي سبقت النزاع في اليمن بمدة قصيرة حيث نجد ابن تيمية قد اذكى جذوة الشقاق إلى أن تحولت المسألة من جدال فكري إلى حادثة تاريخية تحدثت عنها كتب التاريخ .

ولكن كيف كان أمر النزاع بين الفقهاء والصوفية في اليمن وهل أتى ذلك دفعة واحدة أم له أصول تاريخية قديمة تدرج منها حتى انتهى المطاف إلى ما انتهى إليه ، هنا يحتم علينا البحث قبل الدخول في تفاصيل هذا النزاع أن نعرض سريعاً للأصول العقائدية التي عرفت في اليمن قبل نشأة الصراع والتي تفرعت عنها المذاهب الدينية . وسندرك أهمية هذه المذاهب بالنسبة للصوفية عندما نعلم أن بعضها كان يقف موقف الخصم لكل المذاهب الطارئة على الإسلام بما فيها التصوف وعلى رأس هذه المذاهب جميعها المذهب الحنبلي الذي كان لا يتباعد دور فعال في مناهضة الصوفية إلا أنه من الحقائق التاريخية المسلم بها أن اليمن قد شهد ذلك المذهب منذ مدة مكررة^(١) بواسطة جماعة من معتقديه الذين دخلوا

(١) يقول المؤرخ بامغرمة في قتله عن الجندي والخزرجي (الغالب على فقهاء جبال اليمن في عصر الجندي ومآبله اعتقاد مذهب الحنابل وأما في عصر الخزرجي فقد احتل اعتقاد بعض الفقهاء إلى مذهب الأشعرية لكنهم لا يتظاهرون بذلك خوفاً على أنفسهم من جهله بلادهم . يقول بامغرمة : وأعلم أن علماء اليمن لم يكونوا يوافقون الحنابلة في جميع معتقدهم من التجسيم وغيره لم يوافقوهم في القول والصوت والحروف ومن وقف على مؤلفاتهم في أصول الدين لم يتوقف في ذلك وأما اليوم فجميعهم أشعرية ومتظاهرون بذلك فله الحمد والمنة) عاش المؤرخ بامغرمة في القرن العاشر الهجري .

اليمن في القرن الثالث أمثال العلامة الحسين بن جعفر^(١) المراغى وغيره .

على أن هذه المذاهب قد شهدت نقاشا عنيفا فيما بينها رأينا ذلك واضحا في أكثر من حادثة كذلك التى وقعت بين العلامة يحيى ابن أبي الخير العمرانى المتوفى ٥٠٨ هـ وبين العلامة المتكلم جعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقد أسفرت المناقشة عن مؤلف جيد لابن أبي الخير العمرانى ضمنه الرد على ابن عبد السلام وهو بعنوان (الانتصار فى الرد على القدريه الأشرار) ردفه على كتاب ابن عبد السلام المسمى (الدامغ للباطل من مذهب الخنابل)^(٢) هذا من حيث الجدل بين المذهب الحنبلى والمذهب الزيدى أما من حيث الجدل بين المذهب الحنبلى والمذهب الأشعرى فقد مثل هذه الحادثة العلامة ابن أبي الخير العموانى السابق الذكر وابنه طاهر الذى كان يعتقد الذهب الأشعرى وكان بينهما جدال عنيف كان سببا فى هجر الابن والده والذهاب إلى مكة^(٣) ودونك هذا الانتماء القوي الذى يفرق بين الابن وأبيه على أن الغلبة كانت فى النهاية للأشعرية^(٤) . ولم يمد للحنابلة شأن يذكر فى اليمن .

وهكذا كان الجدل بين المذاهب الاعتقادية فى اليمن سببا رئيسيا لاشغال العلماء عن الصوفية ردحا من الزمن حتى لم تسكد تفتى المعمعة ويفرغ الفقهاء

(١) توفى سنة ٣٢٤ هـ - انظر ترجمته فى طبقات فقهاء اليمن لابن سمره ص ٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠ وانظر حول مناظرة العمرانى لابن عبد السلام . .

كتاب (السلوك) للجندى (ومطلم البدور) لابن ابى الرجال

(٣) الجندى : السلوك . ويقول البريهي فى تاريخه انه لما اظهر طاهر العمرانى العقيدة الاشعرية أجمع الفقهاء فى الانكار عليه وكان من أبرزهم الفقيه احمد إبراهيم البريهي الملقب بسيف السنة .

(٤) انظر ماجاء فى الهامش رقم (١) من الصفحة السابقة .

لأنفسهم إذا بهم يمدون الصوفية بين ضهرانيهم يمارسون من المسائل الاعتقادية ما هو المنع. فما كان منهم إلا أن أعادوا الكرة واتفقوا في ما بينهم لمواجهة القوم وقد اتحد أشعرهم مع حنبلهم مع زيدهم فكان هذا النموذج المتجانس من الردود التي صبغت النزاع بطابع محبب وكانت سبباً في وجود الفرق بين الجانيين فالفقهاء قد أشعروا الأفكار في وجوه الصوفية وتوغلوا في ملاحقتهم كتابياً حتى كان ذلك مصدر نهضة فكرية عظمى خاض غمارها جماعة من علماء اليمن سنجدها أولاً في كتابات أهل القرن الثامن وهو عصر النزاع بين الفريقين . وهذه الكتابات تحتاج إلى دراسة مستقلة لما انطوت عليه من قضايا تاريخية وأخرى فكرية ستكون مرجعاً شاملاً لمن يريد التوسع في معرفة المجادلات الفكرية في البلاد .

هلى أنى سأكتفى باستعراض المؤلفات دونما حاجة إلى الإيغال في دراستها إذ بعض هذه المؤلفات لا يعطينى الفرصة في الحديث عنه بتوسع لعدم وجوده بحوزتى الآن فإن أقدم مؤلف فى هذا الشأن — فيما أرى — يعتبر من الكتب المفقودة وهو كتاب (نصيحة المتكلمين ونصيحة المتكلمين) (١) . . لفقيه محمد بن موسى الذوالى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ وهو فى الرد على الصوفية وبيان تكلفهم فى أمور العبادة وقد كان هذا العلامة أول من أشهر (٢) الإنكار على

(١) ذكره الخرجى فى كتابه طراز أعلام الزمن (مخطوط) .

(٢) أمل أول من كتب فى الرد على الصوفية من اليمنيين هو المؤرخ والفقيه محمد ابن يوسف بن يعقوب الجندى المتوفى ٧٣٢ هـ الذى ينسب له السخاوى نصفتوى فى شأن الطائفة الصوفية أوردها فى كتابه (القول المنبى عن ترجمة ابن عربى) ومما يؤيد هذه النسبة اليه تشييعه الشديد على الصوفية فى كتابه (السلوك فى طبقات العلماء والملوك) من ذلك قوله (ان ابن عربى له معتقد غريب منه اعتقاده ان فرعون مات على الاسلام محقق وغير ذلك مما هو مشهور عنه فى كتبه وانكره اعيان الفقهاء) .

الصوفية بالكتابة وكان أكثر الجدل المستحضر بينهم قبل الذوالى جرى بواسطة المناقشات والجدال الكلامى لا غير وهذا العلامة نهد ترجمته عند الكثير من مؤرخى اليمن^(١) إلا أنهم لم يذكروا شيئاً عن نزاعه مع الفقهاء ويبدو أنه كان مستترا في الإنكار على الصوفية ولم يدخل حلبة الصراع إلا عن طريق قلمه الذى عبر به ن الإنكار دون أن يكلف نفسه مهقة الجدل الكلامى الذى قد يتطلب قوة بيان وفصاحة ، ومع ذلك كان الصوفية يرهون جانبه وقد ذكر المازجاى أنه حين صنف كتابه في الرد على الصوفية أراد أن يعطى مصنفه هذا الخطيب عمر الدملوى^(٢) ليقراء على الناس في المنبر بعد صلاة الجمعة وقد استأذ الصوفية من هذا العمل ودعوا إلى الله أن لا يتم ذلك (فحصل في نفوس أصحاب الفقيخ إسماعيل الجبرتي ما حصل وكنت — أى المازجاى — من تأمر من ذلك فلما خرجنا يوم الجمعة لزيارة القبور ورجعنا إلى المسجد خطر لى أن أدخل على سيد الفقيه على بن موسى الذوالى واعلمه بذلك وذكرت له ذلك فكان جوابه أن قرأ قوله تعالى (وليس بضارهم شيئاً) فخرجت من عند سيدى وأنا مسرور بهذا الجواب سروراً عظيماً فجئت إلى سيدى إسماعيل الجبرتي واعلمته بذلك فسر بجواب الفقيه مع أن سيدى الجبرتي ما كان معه أكثر من ذلك وتأمر منه بل كان ذلك مع الجماعة الاصحاب فلما صلينا صلاة الجمعة بالجامع وكانت نفوس

(١) انظر — مثلاً — عند الخزرجى في طراز اعلام الزمن وتاريخ البرهيمى وتحفه

الزمن للامدل وبنية الوعاة للسيوطى ص ١٠٨ .

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن الدملوى . . . خطيب جامع زبيد . يقول الخزرجى : كان واحداً

زماؤه في الخطابة لم يكن في عصره مثله في فاحية من اقطار . . . اقام خطيباً في جامع زبيد
فعموا من خمسين سنة توفى سنة ٧٩٩ هـ : المقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٩٥ .

بعض الناس متشوقة إلى ذلك مما قد شاع واشتهر من كلام الفقيه محمد الذوالفيا كان بعد الصلاة من ذلك شيء بل اضمحل ذلك الخبر وخمد فلم تظهر تلك المصنفه بعد ذلك ولا علم لها خبر (١) ومن هذا النص يتضح لنا تأثر الصوفية بمعارضتهم من الفقهاء — ولا حيرة بقول المزجاجي أن الشيخ الجبرتي (ما كان هذه إكتراث بذلك) فلمله أراد أن يدفع عن شيخه تهمة الخوف من الفقهاء .

والمهم أن كتاب الذوالفيا كان فاتحة ردود عديدة وضعها بعده مجموعة من العلماء على الرغم من أن الكتاب قد ضاع في عصر المؤلف (ولم يظهر له علم ولا خبر) كما يقول المزجاجي .

وقد جاء بعده العلامة أحمد بن أبي بكر الناشري المتوفى سنة ٨١٥ هـ وهو حجة في نقد الصوفية سنعرض له فيما بعد عند حديثنا عن النزاع بينه وجماعة الصوفية - وكتابه في انتقاد الطائفة الصوفية بعنوان (بيان فساد مذهب ابن عربي) ركز فيه على عقائده (الشاطحة) وحل مسائلها . ثم تلاه أبو بكر بن محمد الحياط (توفى سنة ٨١١) وكان أحد الدعامات الرئيسية في النزاع وقد اشتهر كتابه في الرد على الصوفية فأقامهم وأقعدهم وتصدى للرد عليه الشيخ مجد الدين الفيروز أبادي في كتابه (الاغتيال لمعالجة ابن الحياط) فكان هذا المسلك سببا في لمزه من قبل العلماء ووصفه بأنه (كان يحب الإدارة) (٢)

أما وقد دخلنا غمرة النزاع فها هي قد تتالت المصنفات التي تفسر لنا ذلك النوع من الترف العلمي الذي وصل إليه اليمن خلال مرحلته الزاهرة بمدينة زيد فجاء بعد الناشري الفقيه محمد بن علي بن نور الدين الموزعي المتوفى ٨٢٥ هـ وكان من شأنه في الخوض في هذه المسألة ما سنذكره فيما بعد وكتابه في الرد على الصوفية بعنوان (كشف الظلمة عن هذه الأمة) حلل فيه حال

(١) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط)

(٢) ابن حجر العسقلاني : (انباء النعم) ج ٣ ص ٤٩

ابن عربي (١) ونقده في واضح من كتابه الفصوص يقول الاهدل (أن الموزعي قد سبق فيه الفقهاء بتحقيق حال ابن عربي بمطالعة الفصوص وغيره من كتبه وكتب أصول الدين (٢)) ولا يدري ما يعنيه به الاهدل من قوله (سبق فيه الفقهاء) فإذا كان يقصد به السبق التاريخي فلا شك أنه تقدم الموزعي ببعض الأعمال الرائدة في نقد ابن عربي كما بينا ذلك سابقا وإذا كان يعنى به (السبق) بمعنى الاجادة والتبريز على من عداه فلا شك في ذلك وقد كان كتاب الموزعي مصدرا لكثير من الذين تناولوا الصوفية بالرد كما هو الحال عند الاهدل نفسه الذي نقل كثيرا من كتابه (٣) .

ثم كان ظهور ابن المقرئ واشتهار أمره في مقاله بتكفير الصوفية من أتباع ابن عربي حتى كادت هذه الناحية أن تطفئ على شخصية ابن المقرئ الفقيه الأديب فلا أحد يذكر ابن المقرئ إلا برده على الصوفية ومع أنه ترك في نقد الصوفية مؤلفا مستقلا بعنوان (الرد على الطائفة الصوفية الغوية) إلا أن هذا الكتاب لا يكاد يعرف بجانب قصائده السائرة في تكفير الصوفية التي حفل بها ديوانه ويبدو أن هذا الكتاب قد جمعه من حصيلة السؤالات والجوابات التي كتبت حول شأن الصوفية ولم يعتمد تصنيفه كبحت مفرد .

على أن من آثار ذلك النزاع المحتدم بين الفقهاء والصوفية مؤلفات أخرى لانزال تحفل بها المكتبة البغمية وقد ذكر الأخ عبد الرحمن الحضرمي في قائمة مصادر كتابه (جامعة الاشاعرة) (٤) مؤلفا بعنوان (الأقوال الواضحة الصريحة

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) انظر على سبيل المثال صفحة ١٧٧ ، ١٨٨ ، ٢١٨ من كتاب كشف الغطاء

(٤) عبد الرحمن الحضرمي : جامعة الاشاعرة ص ٧٢ .

فما أحدث بوادى زبيد من المناكر القبيحة (للفقير موسى بن محمد الضجاعي المتوفى ٨٥١ هـ ومع أننى لم أطلع على هذا الكتاب إلا أنى أكاد أجزم بأنه من ضمن الكتب التى تناولت الرد على الصوفية لأن الفقير موسى المذكور كان أحد الذين ساهموا فى النزاع الشهير بين الفريقين فى القرن التاسع وقد وصفه السخاوى بأنه (كان من أكبر القائمين على منتحل مذهب ابن عربى فى اليمن بحيث أنه كان الخطيب فى جامع زبيد بالمشور المكتوب بالاشهاد على الكرماتى بهجر كتب ابن عربى) (١) .

ومن بصمات الراقعة على المكتبة اليمنية أيضاً مؤلف العلامة الحسين بن عبد الرحمن الاهدل المتوفى سنة ٨٥٥ هـ المسمى (كشف الغطاء) الذى يعتبر من الآثار الجيدة التى خلفها الفقهاء فى نقد الصوفية ومؤلفه كان قد أدرك ردحا من الخصومة التى وقعت بين الفريقين فى القرن التاسع وقد صور لنا شيئا منها فى كتابه المشار إليه وكتابه فى التاريخ المسمى (تحفة الزمن) وله مؤلفات أخرى حول هذه القضية سنعرض لها فى موضع آخر من الكتاب (٢) على أن الاهدل بما أقدم فى الرد على الصوفية إلا بعد أن عرف حقيقة حالهم وتمرس بأمرهم يقول (لم أزل فى شيبتي وشيبتى اتصفح مذهبهم من كتبهم وكتب أهل السنة حتى اطلعتنى الله على حقيقة مذهبهم وأنه اخبت النحل واكفر المال) (٣) وقد توسع الاهدل فى الرد على الصوفية واعتبرت مؤلفاته فى هذا المضمار آخر الصيحات التى تعالت فى الرد عليهم من قبل الفقهاء أثناء نزاعهم الشهير فى القرن التاسع ، ويحق لنا أن نعتبرها القول الفصل بما تميزت به من استقصاء ومتابعتها .

(١) السخاوى : الضوء اللامع ج ٩ ص ١٩٠ .

(٢) فى الملحق الخامس بتراجم أعلام النزاع وقد حذفناه بعد تضخم الكتاب .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٣ .

وقد سكنت الفقهاء بعد الاهدل بمدة طويلة ولم نعد نسمع صوت الانكار
إلا بعد انقضاء زمن طويل على هصر التصادم فى القرن التاسع سكن خلالها
الفقهاء فكف عنهم الصوفية .

إلا أن القرن العاشر بما عرف به من تحرك ملموس فى أمور السياسة
والثقافة بعيد لنا سيرة النزاع الاول بينهما وكأن هذا القرن قد عرف شيئا من
التصادم بين الفريقين على أثر قيام الامام شرف الدين بحملته السابقة ضد الصوفية .
ففى هذا القرن ظهر كتاب الشيخ العلامة عبد الله بن عمر (بامخرمة) المتوفى
سنة ٩٧٢ هـ (حقيقة التوحيد) وقد اطلع على هذا الكتاب المؤرخ يحيى بن الحسين
فى القرن الحادى عشر (١) وجاء على أثره مؤلف الشيخ محمد بن يحيى بهران
المتوفى سنة ٩٥٧ هـ المسمى (الكشف والبيان فى الرد على متصوفة الزمان) وهو
استجابة واضحة لتبرير موقف الإمام شرف الدين فى اضطهاد الصوفية ومع ذلك
فإن هذا الكتاب نادرا ما يذكر فى قائمة مؤلفاته وقد أيد نسبته إليه المؤرخ
يحيى بن حميد المتوفى سنة ٩٩٠ هـ صاحب كتاب (نزهة الانظار) وغيره .

ولكنه من أتى بعد بهران من العلماء الناقين على نخلة ابن عربى الصوفية
نرى أن نعددهم هنا فى هذه القائمة القصيرة مراعاة للاختصار :

١ — يحيى بن حميد بن الحسن المقرئ المتوفى سنة ٩٩٠ هـ وله (تعليقات)
على كتاب ابن بهران المشار إليه سابقا .

٢ — أحمد بن شايح الدعامى اللوزى المتوفى سنة ٩٩٣ هـ وله مؤلف بعنوان
(نصوص العلماء فى تخطئة الصوفية) (٢) وهذا الكتاب يفسر لنا وجهة النظر
الرئيسية فى معاداتها للصوفية بصفة عامة .

(١) يحيى بن الحسين : بهجة الزمن (مخطوط) والاعلام ج ٤ ص ٢٤٩ .

(٢) مطامع البدور (مخطوط) وأئمة الدين لزبارة

٣ - يحيى بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ هـ : في مواضع من كتابه بهجة الزمن (منطوط) .

٤ - صالح بن مهدى المقبلي المتوفى سنة ١١٠٨ هـ (العلم الشامخ في إنبار الحق على الآباء والمشائخ) إراجع نقده للصوفية في هذه الموسوعة الضخمة من صفحة ٤٩٠ إلى ٥١٠ .

٥ - أحمد بن عبد الله السلمي المتوفى سنة ١١١٦ هـ له مؤلف في الرد على الصوفية (١) .

٦ - محمد بن إسماعيل الأمير المتوفى ١١٨٢ له مؤلف مفقود في الرد على أهل وحدة الوجود بعنوان (نصره المعبود في الرد على أهل وحدة الوجود) (٢) وينظر رده على الصوفية أصحاب هذه النحلة في عدة مواضع من كتبه ككتابته (فتح الخالق شرح مبادئ رب الخلاق) ودبوانه ص ٢٣٠ .

٧ - محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ له كتاب في الرد على أهل وحدة الوجود بعنوان (الصوارم الحداد القاطعة لأعتاق أهل الاتحاد) وهو جواب على سؤال ورد عليه يقول في وصفه (أوضحت فيه حال كل من هؤلاء الصوفية وأوردت نصوص كتبهم وبينت أقوال العلماء في شأنهم وكان تحرير الجواب في هذنوان الغياب وأنا الآن اتوقف في حال هؤلاء) (٣) .

والعلامة المقبل وابن الأمير والشوكاني يعترفون جميعاً من مذهب الإمام محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ في مسألة الصوفية وغيرها . وقد أودع شيئاً من ذلك في موسوعته الكلامية المسماة (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) .

(١) زيارة . نشر العرف ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) عبد الله الحبشي : مجلة العرب السنة ٧ ص ٧٨٤

(٣) الشوكاني : البدر الطالم ج ٢ ص ٣٤

٨ — وآخر من نذكرهم من الذين حضروا بالرد على الصوفية العلامة أحمد بن محمد الجرافى المتوفى سنة ١٣١٦ الذى ترك فى هذا السبيل مؤلفا بعنوان (الدليل القهار فى الرد على الصوفية الاشرار) (١) .

على أن كتابات المتأخرين لا تخلو من تلميح إلى مسألة الصوفية وقد كان لمدرسة الشيخ محمد بن سالم البيجائى المتوفى ١٣٩٢ هـ السلفية أثر فى إحياء علوم السنة فى اليمن وله مصاروات ومجالات حول هذا الموضوع نكتفى من ذلك بقوله فى كتابه (أشعة الأنوار على مرويات الاخبار) الذى يرد فيه على الصوفية أصحاب الحلول يقول فى كلامه عن ابن عربى والحلاج (أما ابن عربى فهو الذى ملأ الأذان صيته وانتشر ذكره فهو وحسين الحلاج حالهما مخالف تماما لأحوال المتصوفين فى الاسلام فالشيخان حلوليان ويقولان بوحدة الوجود وفى كتاب الفصوص والفتوحات المكية وغيرهما من كتب ابن عربى وما يروى عنه من الأمور المخالفة للشريعة وكذلك ما يروى عن الحلاج من الكفر الصريح كقوله (أنا الله ومافى الجبة إلا الله) فذلك مخالف تماما لتعاليم الاسلام ويستحقان عليه القتل والناس فى أمر الرجلين الحلاج وابن عربى فريقان أحدهما يقر ما كان عليه ويذهب أنهما من أولياء الرحمن والآخر يقول كافران شقيان ومحسوبان من أولياء الشيطان ومن تمسك بالشريعة فى الحكم عليهما فهو ناج إن شاء الله ومن رضى بهالهما وتناول الباطل منهما فهو هالك وسالك بأشر المسالك) (٢) .

ولقائل أن يقول أين كان الصوفية أمام هذا السيل الجارف من الردود وهل فيهم من وقف أمام الفقهاء يعبر عن وجهة فريقه أم تركوا الجبل على الغارب واكتفوا من النتيجة بالاياب ؟ هنا تدرك أن صوت الصوفية تجاه الفقهاء كان

(١) زيارة : أئمة اليمن فى القرن الرابع عشر ص ٢٨٠ .

(٢) البيجائى ٠ — أشعة الأنوار على مدويات الاخبار ج ٢ ص ٢٧٩ .

ضعيفا إلى الغاية من الضعف وأن القلة القليلة منهم الذين تصدوا للرد على الفقهاء كانوا في حاجة إلى انصهر القوى الذي يدمغ جميع الفقهاء القوية وقد وجدناهم حين أرادوا نقد الفقهاء قد تنبطوا في معميات من الافتراضات البعيدة التصور واعتمدوا على روايات وحكايات ضعيفة لا يسلم لهم بها خصومهم من الفقهاء حتى أن المزجاجي — وهو أول من تصدى للرد على الفقهاء بعد شيخه ابن الرداد أثناء الحادثة — يبنى كتابه على قاعدة واهية هي قاعدة التسليم للصرفية في كل انماهم وأقوالهم ويربط كل ذلك بحسن الظن بقول مخاطبا ابن المقرئ (يا أخى إذا كان حسن الظن بحجر حماد ينفع فما ظنك بمن أحسن ظنه بمؤمن أوولى من أولياء الله تعالى يكون النفع بذلك أعظم بلاك ولا مريبة وسوء الظن بالله تعالى وأهل الاسلام شركه) (١) .

ولكن يبدو أن المزجاجي في رده على الفقهاء كان في واد وهؤلاء في واد وإلا فمن أين له بتسليم الفقهاء لقومه وهم في دور المنتقد لهم المستريب بأفهامهم مع ما عرفوا به من المماحكة والمجادلة الشديدة في مثل هذه القضايا التي تمس العقيدة .

وعلى كل فأمامي في هذا المجال بضعة كتب أولها مؤلفات الشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد والمتوفى سنة ٨٢١ في الرد على الفقهاء وهي كالآتي : —

١ — (عدة المسترشدين وعصمة أولي الابواب من الزيغ والزال والشك والارتياب) (٢) .

٢ — (الشهاب الثاقب في الرد على بعض أولي المناصب) (٣) .

٣ — (السلطان المبين والبرهان المستبين في ظهور الحجة على من كفر أهل

(١) المزجاجي . : نهاية السالك (مخطوط) .

(٢)(٣) السخاوي الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ .

السماع من أولياء الله المقربين (١) .

وه غير هذه الرسائل التي هالج فيها مشكلات الصوفية التي يشهرها حولهم الفقهاء كرسائله في تحقيق قول بعض الصوفية (خضنا بحرا وقف الانبياء على ساحله) (٢) ورسائله في معنى قول الشيخ أبي الغيث بن جميل (إن البلاد التي كنا قديما ليس فيها مطيعا لله ولا هاس بحال (٣)) وغير ذلك وقد جاءت هذه الرسائل في الوقف المناسب حيث عاصرت شدة الحركة التي دارت بين الجانبين وكان الصوفية في حاجة إلى الصوت القوي المعبر عنهم أمام تهديدات الفقهاء الكثيرة ومن هنا جاءت رسائل ابن الرداد لتسد هذا النقص إلا أن ابن الرداد ما كان في استطاعته أن يشهر قوله الصريح في وجه الفقهاء لولا أنه حظى بمنصب القضاء العام الذي كانت تصدر عنه الاحكام الشرعية فجاء قوله قويا ومعبرا بكل شجاعة عن جماعته .

ثم جاء بعد ابن الرداد تلميذه وزميله العلامة محمد بن القاسم المزجاجي المتوفى ٨٢٩هـ فنكتب في السنة التي توفي فيها ابن الرداد مؤلفه المسمى (هداية السالك إلى اسنى المسالك) وهو في الرد على الفقهاء في شخص ابن المقرئ يقول في مقدمته (هذه رسالة من العبد الفقير . . . إلى الأخ في الله سبحانه الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ سلمه الله تعالى وحفظه ووفاه وإلى كل من ينكر على الطائفة الصوفية نفع الله بهم الخ . . .) ، وهذا الكتاب من أهم ما وضع في الدفاع عن الصوفية وسندرك أهميته إذا علمنا أنه كان إمر الحركة بين الفريقين خلال النصف

(١) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) الضوء اللامع ج ٧ ص ١٦٣ ونسب الجليل هذه القولة إلى الشيخ ابن جميل (انظر

الانسان الكامل ج ١ ص ٧٤) .

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦٣ .

الأول من القرن التاسع ، وقد كان المؤلف في رده على ابن المقرئ قد استعمل كل عبارات الأدب والتقرير بخلاف خصومه من الفقهاء الذين ينلب عليهم طابع الغضب والتشنج وقد دخل المزجاجي على خصمه ابن المقرئ بمدخل الصديق الناصح والمرشد الذي يمه شأن زميله ومن هنا جاءت عبارات المزجاجي سهلة سلسة تشتمل منها رائحة الإخلاص والبراءة على الرغم من ضعف الحجة التي يدلي بها وعدم استنادها على دليل قوى يسمره في وجه خصمه .

وبالجملة فإن كتاب المزجاجي هو الأثر الباقي المتناثر للصوفية من بين الآثار الكثيرة التي خلفتها لنا الأئمة الناجثة بين الفريقين والتي كتب أغلبها فريق الفقهاء وهو كتاب له قيمته القصوى بالنسبة لهذه الحادثة ليس من حيث قيمته الفكرية بل ومن الناحية التاريخية حيث ذكر معلومات تاريخية كثيرة عن الصوفية لاتجددها في غير هذا الكتاب .

وبالرد من قبل الرجاجي على الفقهاء يلتزم الصوفية السكوت فلا أحد يظهر منهم بعد هذا التاريخ حتى تمر مرحلة طويلة نعددها بالقرون فيظهر منهم جماعة من المنافحين الذين أخذوا على أنفسهم قضية الصوفية والدفاع عنهم كالصوفي محمد بن طاهر الحداد المتوفى سنة ١٣١٦ هـ صنف كتابا بعنوان (الآيات الباهرة في اختطاف الأفهم القاصرة) تلمس فيه الحماس المفرط للصوفية إلى درجة تخرجه عن الحد . ومنهم في العصر الحديث الشيخ إسماعيل بن مهدي الغرياني مؤلف كتاب (نفس الرحمن فيما لاحباب الله من هلو الشأن) الذي خصمه في الرد على من ينسكروا على الصوفية رءو مقسم على فصول وأبواب إلا أنه لا يعتمد في أكثر الأحيان على المنطق العقلي الذي يأخذ به خصومه من الفقهاء ومن فصوله الرئيسية فصل في الرد على من كفر المسلمين وفصل في مشروعية تعظيم الأولياء والأنبياء وفصل في مشروعية التبرك بالصالحين (١) .

(١) انظر هذا الكتاب وهو مطبوع في عدن سنة ١٣٨٠ هـ في ١٧ صفحة .

أحداث النزاع التاريخية

المرحلة الأولى

وأينا في فصل لاحق كيف تكونت مدرسة ابن عربي في التصوف اليمنى خلال القرن السابع بعد مجيء المقدسى إلى اليمن وتجمع تلاميذه حوله أمثال ابن (البانة) ^(١) الذي كان له نفوذ قوى عند الملك الأشرف قبل توليه الملك بعده. وكان المقدسى أكثر ما يجتمع بتلاميذه في المدرسة العليا المعروفة بمدرسة أم السلطان بمغربة تمر ^(٢) (وكانوا يتذاكرون في علم التصوف بما لا تختمله المقول ولا تقبله) ^(٣) وهو شىء غريب على أهل اليمن فلم يقبلوه منه (ونسبوه إلى الزندقة) ^(٤) .

وبناء الأقدار أن يبعد هذا الزمن أول نزاع حاد بين الفقهاء والصوفية عندما كان الفقيه أحمد بن عبد الدائم الصفى المتوفى سنة ٧٠٧هـ أحد فقهاء عصره المتمكنين من علمهم تلميذا لابن البانة السابق الذكر وقد حضر مع شيخه هذا ما يدور بينهم من نقاش فلسفى استنكره عليهم وعدد من مأخذهم مسائل أخفها (لأنهم يشككون في صدق القرآن ويقولون أنه ليس من كلام الله) ^(٥) .

(١) ورد اسمه في المخطب اليمنية في عدة صور مختلفة ففي العقود الوثلوية يرد ذكره أحيانا هكذا (ابن القاتنه أو ابن النابة أو البانة) ص ٢٠٦ و ٣٨٩ وغيرهما (وفي كشف النطاء بابن البانة ص ٢١٧ وفي مخطوطه هداية السالك بابن البابا وقد ضبطنا اسمه من مخطوط طراز أعلام الزمن بقلم مؤلفها الجزرجى .

٢ - و ٣ - و ٤ - و ٥ - الجندى : السلوك (مخطوط) .

فما كان من صاحبنا إلا أن اجتمع بزملائه من الفقهاء واسرلهم هذا الأمر الخطير الذي اقامهم واقعدهم . فانفق رأيهم على الاجتماع في منزل الشيخ أبي بكر بن آدم الجبرتي وكان رئيس الفقهاء في عصره .

« في منزل الجبرتي »

شهد هذا المنزل أول اتفاق منسق بين الفقهاء في شأن الطائفة الصوفية الخارجين عن شريعة . يقول الجندی في ذكر هذا الاتفاق (اجتمع الفقهاء إلى الجبرتي واخبروه بما شهد ابن الصفي فصعب عليه ذلك وقال له الفقهاء رأينا تبع لرأيك فأشر بما شئت فنحن نمتثلون ورقم لله وإلا انتفرت هذه اليد يرق الناس من الدين) وهنا انتهى رأيهم في هذه الجلسة على خطة معينة يوقعون بها المقدس وتلميذه ابن البابنة (١) .

« خطة الفقهاء للقضاء على المقدس وتلميذه »

عمدنا من الفقهاء التدخل دائما في مثل تلك القضية التي تمس الشريعة فلا غرابة إذا أسفر اجتماعهم عن مؤامرة مبيتة تهدف إلى القضاء على المقدس وابن البانة وإعدامهما بالكلية . ففي الاجتماع السابق شرح الفقيه الجبرتي خطته الرامية إلى ذلك بأن يذهبوا جميعا إلى المقربة بقصد حضور صلاة الجمعة في مسجد الكبير على أن يترصدوا خطرات المقدس وزميله فإذا جاء للصلاة — يقول الجبرتي — (أوقعنا بهما وقتلناهما وارحنا المسلمين منهما والإسلام) وينقض الاجتماع بموافقة الفقهاء جميعا على خطة الجبرتي بعد أن (اجابوه على الطاعة وبعاهدوا على ذلك) (٢) .

« فشل المؤامرة »

ولكن المؤامرة لم تنجح إذ سرعان ما نفا هذا الخبر إلى المقدس وتلميذه

(١ ، ٢) الجندی : السلوك (مضبوط) .

الذين أخذوا يعملان الفكرة لصد كيد الفقهاء نحوهم وانفقا على أن يستعينوا في هذا الأمر بوالى المدينة الأمير الوراق بالله ابن الملك المظفر الرسول الذى زود المقدسى بجماعة من العسكر يحفظونه أثناء دخوله الجامع للصلاة .

وحين جاء وقت الصلاة حضر الجبى من (ذى عدينه) وكان يعمل مدرسا بها واجتمع بزملائه من الفقهاء الذين احتشدوا فى جامع المغرب على أمل وجود المقدسى وتلميذه ليوقعوا بهما كما تم الاتفاق بينهم سابقا فاذا بالمقدسى يدخل المسجد ومعه جماعة من الرجال يحرسونه بالسلاح فلم يتمكن الفقهاء من المساس به وفضلت الخطة . أما ابن (البانة) بما انطى عليه من لباقه وحسن تصرف — وقد كان هو الذى أشار للمقدسى بالالتجاء إلى الوراق — فقد تسلل خفية من مدينة تمر بعد أن اكترى هجينا وتوجه من فوره إلى مدينة زيد للاجتماع بالملك المظفر وإطلاعه على ما دبره الفقهاء .

وعند وصوله إلى مدينة زيد ارتضى على باب منزل الأمير الأشرف لعله بصداقته له وإدلاله عليه واستغاث به فى صورة مؤثرة حتى (استدعاه واستخبره عن أمره)^(١) فاخبره بالقضية من أولها إلى آخرها وسجد ابن البانة قد استغل صداقته مع هذا الأمير لفرض التوسط له عند والده الملك المظفر بشأن هذه القضية وقد وقف معه هذا الأمير وطلب منه تحرير مکتوب يشرح فيه ماجرى له ليقدمه عند والده .

« تدخل الدولة فى هذه القضية »

يقول المؤرخون أنه لما أتم ابن البانة كتابة التقرير الذى يشرح فيه حادثة الفقهاء معه هو وزميله المقدسى دخل بها الوراق إلى عند والده الملك المظفر الذى

(١) الجنى : المصدر السابق مخطوط .

ماله ما وصل إليه الأمر بين الفريقين في مدينة تمر (وصعب عليه الأمر وخشى أن تلتهى المسألة بين الفقهاء والصوفية إلى شقاق كبير)^(١) فكتب الملك المظفر إلى الفقهاء رسالة شديدة اللجة يحذره فيها من القيام بمثل هذه الأعمال المقلقة لأمن الدولة ويحث بالرسالة إلى وإلى مدينة تمر بعد أن أمره أن يقرأها على المنبر ليسمعا جمهور الفقهاء وغيرهم .

أما نص هذه الرسالة التي كتبها الملك المظفر إلى الفقهاء فقد أورده جماعة من المؤرخين منهم المزجاجي الذي اطلع على أصل المخطوط في ورقة قديمة جاء فيها :

(اظلمتم الضياء وخبطنم في عشواء فاقنصروا عن هذه الامراء واشتغلوا بالنصوص فانك يا ابن آدم^(٢) أهنى المتفهمة وامثالك ممن هو في تلك الجهة لم يحط هذا بما في كتابه ولو بهت أحدكم وسئل عن مسألة فيها قولين لم يكن في قدرته الجواب منها حتى يكشف وبطالع وإذا كان يعيبكم ما أفنيتم فيه أعماركم فكيف تخرجون إلى أهوية تقيمون لها أمثالا بظاهر الفاظكم مما يستدل بها على أهويتكم فاعتمدوا على الكتاب والسنة والصحيح من حديث رسول الله (ص) وانركوا التمسك بالموضوعات على النبي (ص) فلهذا علماء يورودن ويصدرون واستم من ذلك النمط في شيء فالحذر كل الحذر فنحذر فقد انذر فإن اقتصرتم والا قصركم السيف عن طول اللسان فإنما قصدكم التلييس على العوام بقيل وقال (٣) .

(١) المصدر السابق .

(٢) يعنى به الشيخ أبو بكر ابن آدم الجبرتي :

(٣) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط) وانظر هذه الرسالة في الجندی : السلوك

(مخطوط) والاهبل كشف الغطاء ص ٢٢٩ .

« تعقيب على رسالة السلطان في شأن الفقهاء »

لم يكن للدولة الرسولية في ذلك الوقت سياسة دينية معينة فهذه الدولة لم تكن تحكم حكما دينيا (ثيوقراطي) كما هو الحال في دولة الإمام وقد وقفت في هذا النزاع موقف المحايدين البعيد عن أى انتماء معين وهو الموقف الاصلح لها كدولة ترفع حقوق الأمة عن اختلاف أنوائهم وخاصة وأنها أمام فئة ضعيفة من الصوفية حاول التجنى عليها جمهور كبير من الفقهاء بما عرفوا به من الشدة . وقد كان السلطان في رسالته السابقة مضطرا إلى أن يناقش الفقهاء بأساليبهم المنهج عندهم فحاول أولا الطعن في معارفهم وما وصلوا إليه إذ الواحد منهم (لو هبت في مسألة فيها قولين لم يكن في قدرته الجواب عنها حتى يكشف وبطالع) ويمضى طيلة ليلته ينقب ويفتش .

ثم عرض لعلمهم الأوهج في التجنى على الصوفية واعتبر ، من آثار عقولهم الضعيفة التي تتصور مسألة خيالية فتجسدها إلى عالم الواقع . إذ سرعان ما اختمرت في أذهانهم مسألة تكفيرهم فحاولوا الإقدام على خطوة كبيرة هي القتل وهو الأمر الذي يعتبر تمهيدا للسلطات العليا وتدخلها فيها هو من اختصاصها وقد أشار إلى ذلك بقوله مستنكرا عليهم اقدامهم الخطير (كيف تخرجون إلى أهوية تقيمون لها أمثالا بظاهر ألفاظكم مما يستدل بها على أهويتكم) .

وأخيرا لم يبق أمام السلطان المظفر كسلطة عليا إلا أن يهددهم بما هو أشد من التحذير وهو القتل إذا لم يكفوا عن مثل هذه الأعمال المقلقة لأمن الدولة ولعل في ذلك ما يردع من تسول له نفسه بالقيام بعمل مشابه لفعليتهم تلك يقول (الحذر كل الحذر فمن حذر فقد انذر فان اقتصرتم والا قصركم السيف) وهذا غاية ما يأتي من الملك المظفر .

وقد يظن فريق الصوفية أن في هذه الرسالة مناصرة لهم على الفقهاء ويستدلون

بها على تأييد الدولة الرسولية لهم كما رأينا ذلك صراحة في قول المزجاجي عند عرضه للرسالة مخاطبا ابن المقرئ (١) .

وليس الامر كما اعتقد المزجاجي إذ المسألة هنا قضية جماعة خرجت عن نطاق القانون وكان الاولى ردعهم وتخويلهم بفض النظر عن انتاجهم وميولهم . وهذه هي الوسيلة الواحدة أمام الدولة لضمان حرية القول لشتى فئات المجتمع .

« حالة الفقهاء بعد التهديد »

بعد سماع الفقهاء انذار الملك المظفر سكتوا عن الصوفية ولم تعد نسمع منهم إنكارا خفية من قيام الدولة بحملة تأديب مددهم وخاصة وأن الإنذار كان شديد اللهجة وقد وصف الجندى حالة الفقهاء بعد سماعهم التهديد لانهم (تفرقوا وذهب أمرهم شفر بفر) (٢) أما العلامة ابن الاهدل الذي نسمع صوته بعد مضي ما يقرب من قرنين على الحادثة يستنكر على الفقهاء سكوتهم ويقول (كان ينبغي عليهم أن يجيبوا السلطان المظفر وينصحوه بكتاب لطيف ويظهروا له الحق ليرجع عن إنكاره عليهم) (٣) ولكن الفقهاء خشوا من عقي هذه المراجعة والسلطان لا يزال في نوره عليهم وكان على الاهدل أن يقدر ظرفهم ذلك المخرج وبسكوت الفقهاء انتهى أول جولة من الصراع بين الفريقين .

« موقف الدولة الرسولية من النزاع »

على أن قصر مدة هذا النزاع وانحاده وهو في مرحلته الاولى لم يعطنا صورة واضحة عن وجهة الدولة الرسولية أمام تلك المنازعات بين الفقهاء والصوفية فقد سكنت الدولة ولم تظهر أى انحياز إلى أحد من الطرفين المتنازعين إلا من خلال

(١) المزجاجي : المصدر السابق (مخطوط)

(٢) الجندى : السلوك

(٣) الاهدل : كشف الغطاء

التهدد للرسول إلى الفقهاء وهو غير كاف لبيان موقفها حيث لم نجد فيه سوى تحركات شكلية لحفظ الهدوء ولا يجب أن يفهم بأنه انحياز إلى جانب الصوفية كما اشرنا إلى ذلك فيما سبق .

ولم نجد الدولة تتدخل في مثل هذه القضايا إلا في المرحلة الثانية من النزاع الذى وقع بين الفريقين في منتصف القرن الثامن وما بعده وذلك لاستمرار هذا النزاع مدة طويلة واضطرار الدولة إلى الانحياز أحيانا أو إلى المحايدة أحيانا كثيرة وهذا ما سنبينه في فصل آخر .

• المرحلة الثانية من النزاع بين الفقهاء والصوفية •

كان النزاع بين الفقهاء والصوفية في القرن السابع أول حادثة من نوعها بين الفريقين وقد تركت آثارها في النفوس ووجدت لها متفصلاً في أكثر من واقعة بصورها لنا التاريخ اليمنى . ومع أن المسألة كادت أن تنتهى بين الفريقين عند قيام السلطان المظفر بتهديد الفقهاء وردعهم إلا أنه ما كاد ينقضى هذا العصر حتى يعود الخصام بأشد مما كان وقد ذكر لنا أهل التاريخ أشياء من ذلك كثيرة^(١) سيجدها الباحث في النخل الجيد لمحتويات المخطوطات اليمنية . هل أن حقيقة النزاع من حيث هو مجابهة كبرى بين الفريقين يبتدى في القرن السابع عند قيام الصوفية بنشاط ملموس في الدعوة إلى التصوف والتوسع في فلسفاتهم النظرية والعملية ولم يعد من أمرهم التسكيم في تعاليمهم والتستر كما هو الحال عند جيلهم الأول من المتصوفة .

(١) من ذلك ما ذكره المزرعى في ترجمة حسين بن أبي بكر السورى المتوفى ٧٠٤ يقول (كان قتيبا صالحا وكان ينكر على القراء (الصوفية) الرقص والسماع فلذلك اجتمع الفقهاء عليه ولم يزل حذرا من السلطان بعد أن وشى به أنه يتصل بامام الزيدية) المقود الوثوبة ج ١ ص ٣٦٦ .

وقد كان الصوفية في هذه الفترة يتزعمهم الصوفي الكبير الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ وقد انضم إليه اتباع من الصوفية انتشر شأنهم وتكاثروا حتى أصبحوا يكفون قوة صغيرة لهم نفوذ وسلطة بجانب نفوذ الدولة ولم يقتصر أمرهم في ممارسة نفوذهم المدني على القضايا الدينية والشعائر الصوفية بل أدى ذلك إلى القيام بإصدار أحكام في حق المخالفين من النصارى والمعادين لهم مما يفسر لنا مدى سلطتهم القوية عند الدولة الرسولية ، يقول الخزرجي في حوادث سنة ٧٩٧ هـ :

(وفيها أمر الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي بضرب الشيخ صالح المكي فضرب بالسياط ضربا مبرحاً ثم إن الشيخ إسماعيل استأذن السلطان في إخراجه من اليمن فأجابته إلى ذلك وصرف أمره إلى أمير البلد فأذن له بالوأي إلى البحر وأمر نوابه أن يسافروا به إلى بر المعجم (١) .

ولا غرابة إذن بعد كل هذا أن يوداد نفوذ الصوفية وأن يتوسعوا في تعاليمهم دون خشيته من رقيب أو منكر عليهم .

(١) العقود الأولى ج ٢ ص ٢٧٢ ولطه قس المشار إليه عند الشوكاني باسم صالح المصري فقد ذكر أن هذا الشيخ كان ينكر على إسماعيل الجبرتي فتعصب عليه الصوفية حتى قوه إلى الهند فقال أحد الشعراء ينكر على الجبرتي وجاحته في قيامهم بنفي المصري :

صالح المصري قالوا صالح	ولم يرى أنه لمنتخب
كان ظني أنه من فتية	كلهم أن تمنعهم تختب
رهبط إسماعيل قطاع الطر	بق إلى الله وأرباب الزيب
سفل حتى رعاع غاغة	اكتب فيهم على الدنيا كلب

البدر الطالع ج ١ ص ١٣٩ .

مراحل النزاع الاخير

ن. لذلك النفوذ أثر في اسكات الاصوات المنكرة ولم نسمع للفقهاء رأياً معارضاً إلا بعد انقضاء مدة طويلة رأيناها أولاً على شكل معارضة بسيطة يشيرونها من خلال مسائل فقهية صغيرة إلى أن تطور النزاع إلى فراخى أخرى وأصبح كل فريق يكفر الآخر بل لم يكتفوا بهذا فقد أخذوا يتعاطون التشهير علناً حتى دخلت القضية طوراً سياسياً أوسع على أثر مشاركة الدولة الرسولية فى هذه الناحية وانحيازها مع بعض الفرقاء حيناً . الزمن .

وقد مر النزاع بين الفقهاء والصوفية بثلاث مراحل رئيسية تمثل كل ما يجرى بينهما حتى خمد القضية وانتهائها . وقد رأينا تقسيمها على الوجه الآتى :

— المرحلة الأولى من سنة ٧٩٦ هـ إلى سنة ٨١٧ هـ

وهى المرحلة التى شهدت قيام الفقهاء بمحملات ضد الصوفية واستغنى الملك الناصر أحمد بن الأشرف لإسماعيل فى شأن كتب ابن عربى ومطالعتها ثم خوض العلماء فى الإجابة على فتوى الناصر ومنهم العلامة محمد الدين الفيروز اباذى الذى تولى القضاء العام فى اليمن من سنة ١٩٦ إلى سنة وفاته وانحيازهم إلى جانب الصوفية .

— المرحلة الثانية من سنة ١٨٧ هـ إلى سنة ٨٢١ هـ

وتتمثل انتصار الصوفية على الفقهاء وتشكيل أوائك بهم على أثر تولى احمد الصوفية زمام القضاء العام وهو الصوفى الكبير أحمد بن أبى بكر الرداد .

— المرحلة الثالثة من سنة ٨٢١ هـ إلى سنة ٨٣٧ هـ

وهى فترة استماده الفقهاء سيطرتهم وملاحقتهم لخصومهم ، ثم خمد نزاع بين الفريقين بعد وفاة ابن المقرئ سنة ٨٣٧ ولم يعد الفقهاء يعنون بالرد على الصوفية لاسباب تعود إلى ميل السلطة إلى الصوفية كما أشرنا فى فصل لاحق.

وقد كان النزاع في مجمله نوعاً من الترف العلمي الذي وصلت إليه البلاد في العصر الرسولي إذ لم يعد الفقهاء يحصرون انفسهم في دراسة المسائل الفقهية المجردة بعيداً عن الاحداث العلمية المعاصرة لهم وهذا ما يفسر لنا تحول بعضهم من البحث في مواضيع فقهية عادية إلى مجالات أوسع من الدراسات العلمية .
والان بعد أن حصرنا إتهامات النزاع في هذه المراحل الثلاث فاعلينا
إلا دراسة الموضوع من شتى اتجاهاته .

الحياة العلمية في ذلك الوقت

المحنا في قول سابق إلى أن النزاع بين الفريقين كان نتيجة طبيعية لتلك النهضة العلمية التي شهدتها اليمن خلال الحكم الرسولي ولم يكن النزاع محصوراً بين الفقهاء والعلماء وحدهما وكان كثيراً ما يحدث بين أصحاب الفن الواحد وغالباً ما يثار النقاش حول المسائل الفقهية فيعتبك الفقهاء فيما بينهم في نقاش حاد وربما خرجوا من نطاق البحث إلى التحدى السافر لبعضهم البعض وقد ذكر (البرهسي) أن العلماء في عصره قد اختلفوا في عدد تجديد بناء الكعبة فتبارى العلماء في هذا حتى أرسلها العلامة محمد بن أبي بكر الخياط المتوفى سنة ٨٣٩ إلى ١١ بناءة في مؤلف له بعنوان (التحقيق في عدد بناء البيت العتيق)^(١) وهذا نموذج بسيط وإلا فالكشاهد على ذلك كثيرة وقد اذكى النقاش من زاوية أخرى سلاطين بني رسول وقلما يخلو اجتماع لهم بالعلماء من نقاش يثيره أولئك السلاطين بما جعلوا عليه من حب المعرفة وقد أشار الخزرجي الى بعض مما يدور في تلك المجالس من ذلك ما ذكره في حوادث سنة ٧١٦ يقول :

(في يوم الاحد ٢٨ من شهر شعبان تهباً السلطان الاشرف للصيام واخل
محلة دار لتتصر لحضور الفقهاء والقضاة والوزراء ومن يعتاد حضور محله

(١) تاريخ البرهسي : مخطوط

للتفصيع في شهر رمضان وكان الحاضرون مجلسه في شهر رمضان يتنازعون في تفضيل الرطب والعنب ايهما أفضل من صاحبه فحصل الاجماع بتفضيل الرطب على العنب وكان القائل بتفضيل الرطب على العنب فقهاء تمامه وأماؤها وكان القائلون بتفضيل العنب على الرطب فقهاء الجبال وأماؤها وقد اسند أهل الجبال أمرهم إلى الفقيه صفى الدين أحمد بن موسى النعمى وكان فقيها عارفا مدققا واسند أهل تمامه أمرهم إلى الفقيه شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ وكان يتوقد ذكاه وكان حاضر هذه الواقعة حاكم الشرع الشريف القاضى عفيف الدين هداية بن محمد الناصرى (١) .

إذن فالعصر كان فترة مناقشة علمية وأدبية فلا غرابة أن يأتى بعد ذلك النزاع بين الفقهاء والصوفية كصورة متممة لأوضاع الجدلى المعاش خلال تلك المرحلة الزاهرة من تاريخنا الثقافى فى اليمن .

وقد اشار إلى ذلك النزاع كثير من المؤرخين إلا أنهم نادرا ما يلتزمون التسلسل التاريخى لتطور الحادثة وهم غالبا ما يذهبون إليه عند ذكرهم لاعلام النزاع الذين خاضوا غماره . مكتفين بذلك بالسرد المجرد الذى لا يسنده تحديد زمنى معين لذا فان حياة أوائلك الاعلام وتحديد سنواتهم التى عاشوها هى الخيط الرجيد الذى يمكن برسطه تتبع تطور النزاع من حيث هو احداث مجردة أما تراجع أوائلك فسادلحقها باخر الحديث فى فصل مستقل كما فعلت فى الفصل السابق (٢) .

(١) المؤرخى : العقود الأولى ج ٢ ص ٢٦٣

(٢) نأخذ وضنا تراجع مفصلة لاعلام النزاع فى المرحلتين الأولى والثانية مع تراجع مسئلة للما الوادين إلى اليمن من الذين ساهموا فى النزاع إلا أننا حذفنا من هذه الطبعة حتى لا يتضخم الكتاب على لى قد ترجمة لأكثر اعلام النزاع من المذكورين فى هذا الكتاب فى مؤلفى « تاريخ التراث اليمنى فى العصور الإسلامية » « نعت الطبع »

المرحلة الأولى

وكان للنفوذ الروحي الذي حظى به الشيخ الصوفي إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي أثر في اعلاء شأن الصوفية واستعادة مكانتهم في المجتمع اليمني خلال القرن الثامن وكان ذلك أولاً عن طريق تقربه للولاة من أحكام بنى رسول الذين رحبوا به واحتضنوا تعاليمه الصوفية وكانت لهم ايدى في تشجيع الصوفية بإقامة السماعات والذكر .

وقد استهدفت حركة الشيخ إسماعيل الجبرتي — بجانب استعادتها مكانه الصوفية — القضاء على المناوئين لفرقة من جمهور الفقهاء وأصحاب الحديث الذين مازالوا يرددون الإنسكار عليهم ويصفوهم بالخروج . العرف المألوف للصوفية الاوائل بإقامة السماع في المساجد وتحويلها إلى اماكن رقص وغناء .

على أنه ليس بايديها قائمة بأسماء المسكرين وكل ما نعرفه هذه أسماء لا تمثل مجموعهم الكلى ولعل للرحيل الاول منهم هم اولئك الذين ادركوا حياة الشيخ الجبرتي من سنة ٧٢٢ إلى سنة ٨٠٦ وهم : —

١ — ابن القليل الذي انفرد بذكره المزجاجى ولم اجد من اشار إليه غيره وقد جاء في وصفه له بأنه (كان من الطلبة الجمل المقصرين) (١) وفي قوله بعض من التحامل لأن المزجاجى كان معروفاً بميله إلى الصوفية

٢ — أحمد بن ابراهيم بن علي العسلقى المتوفى سنة ٨٠٦ وهو من العلماء الذين ردوا على الصوفية بعدة وقد ذكره الاهدل بأنه (كان لا يخاف في الله لومة لائم في أنسكار ما ينسكركم من الشرع أنسكركم على الصوفية في زبد كائن الرداد وإتباعه وهم يومئذ أمل قبول تام عند السلطان فابالى وربها هموا به كروه فنجاه الله

(١) المزجاجى : هداية السالك (مخطوط) .

وكان ابن الرداد يخوفه بسوء الخاتمة فأتى العسقلنى على الحال المرضى بالانفاق على خلاف ابن الرداد فإنه كانت منه منات (١).

وللعسقلنى قصيده فى نحو ثلثمائة بيت رد بها على ابن الرداد فى نقده عليه وهى فى الإنكار على من يبيع السماع المعتاد عند الصوفية (ذكر فيها أدلة الكتاب والسنة على تحريم اجتماع آلات اللهو من الغناء والدف والعبابيه واختلاط النساء بالرجال) (٢).

٣ - أحمد بن أبى بكر بن على الناشرى المتوفى سنة ٨١٥ وهو أحد الاعلام الرئيسين فى النزاع وله مع الصوفية صرلات وجولات سنذكرها فيما بعد .

٤ - أبو بكر بن محمد الخياط المتوفى سنة ٨١١ . كان رئيس الفقهاء المتزعم الإنكار على الصوفية ويكفى أن نعلم أن (الفيروز اباذى) قد اتى لرد عايه فى رسالته (الاغتباط بمعالجة ابن الخياط) لتدرك أهمية هذا الرجل ولعله أول من أشهر الإنكار على الصوفية بطريقة اغاضت الصوفية وقد عاير القضية من بدايتها .

وقد شارك هؤلاء الفقهاء فى الإنكار على الصوفية جماعة أخرى من زملائهم وكان لهم درر لا يستهان به فى القضية إلا أن كفاحهم الحقيقى تمثل فى المراحل الأخيرة .

على أنه من الانصاف أن نقول أن الفقهاء ما كانوا يحبون التورط مع الصوفية فى نواح حاد وهم الذين آثروا يحسنون الظن بهم ويرون فى سلوكهم الخلقى نموذج

(١) الاهدل : تحفة الزمن (مخطوط) والضوء اللامع ج ١٠ ص ١٩٧ .

(٢) الاهدل : المصدر السابق .

يجب الاقتداء به وقد كان سلفهم يميل إلى رزية آثار من الدنيا إلى علماء الكلام بل نجد ظاهرة حسن الظن بالصوفية تظهر حتى في أولئك النفر من المنكرين الذين ناصبوا لإتباع ابن عربي العداء أمثال محمد بن علي الموزعي المتوفى ٨٢٥ هـ وكان يميل إلى الصوفية وهو الذي اختصر كتاب (روض الرياحين) للباغمي ومنهم إسماعيل بن أبي بكر بن المقرئ على الرغم مما شهر عنه من عدائه لإتباع ابن عربي فقد كان يردد الثناء على الصوفية المستقيمين منهم ويفرق بينهم فنسمع مثل قوله :

وخذ نهج سهل والجنيد وصالح وقوم مضوا مثل النجوم الزواهر
على الشرع كانوا ليس فيهم لوحده ولا لخلول الحق ذكر لذاكر
رجال راوا ما لدار دار إقامة لقوم ولكن بلغه للمسافر
فاحبوا ليا ليهيم صلاة ويبتوا بها خوف رب العرش صوم البواكر
أولئك أهل الله فالزم طريقهم و... عن دواعي الابتداع الكوافر (١)

وحق ابن الأمدل صاحب كتاب (كشف الغطاء) الذي رد به على الصوفية الفلاسفة فقد كان يشتد على الصوفية في تاريخه العام ويذكر السحرة من كراماتهم وأحوالهم .

وهذا دليل سافر على أن أولئك الفقهاء بما فيهم أولئك الذين تميزوا للصوفية بالنقد - ما كان لهم النية المعارضة لولا أنهم وقتاً إمام الأمة الواقع الذي لا يجب السكوت عنه بعد أن خرج الصوفية عن كثير من القواعد الشرعية التي يلج الفقهاء على إتباعها .

وبجانب هذا الأمر الرئيسي فقد دخلت الدولة بكل ثقافتها - ممثلة النزاع لتسكون بعد ذلك - أملاً من العوامل المهيجة على أنه لم يكن دخولها في القضية

(١) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ١٣ .

من باب حفظ الأمن والتوسط بين الفريقين . وإنما جاءت لتحايز إلى جانب الصوفية الذين رأوا في وجودهم مرتكز شعبي تعتمد عليه وقد مر بنا في فصل سابق كيف أن الميل إلى الصوفية قد توارثه ملوك بني رسول أبها عن جد .

فالملك الذي يكنه الملك الأشرف إسماعيل بن عباس الرسول للصوفية مما لا يمكن إخفائه بأي حال من الأحوال وقد صرح بذلك أحد من عاصر النزاع وهو الصوفي محمد بن محمد المزجاجي الذي يقول (أن الملك الأشرف كان معتقدا للشيخ إسماعيل الجهمي وأصحابه الصوفية وبجبه غاية المحبة)^(١) ويؤيده في هذا القول معاصرة ابن الأمدال الذي يرى في ميل الملك الأشرف وولده الناصر إلى الصوفية محاباة تبهدهما عن عدل الملك يقول (وكان السلطان الأشرف ثم ولده الناصر يجاميان الصوفية)^(٢) ويربط هذه المحاباة بإنكار الفقهاء فيرى أنها سببا رئيسيا في عدم جدوى إنكارهم في مرحلته الأولى (فلم يكاد يؤثر الإنكار) .

وكان الملك الأشرف قد عاصر النزاع وهو في مرحلته الأولى فكان ميله إلى الصوفية سببا في أحداث الفرقة بين الفقهاء أنفسهم وانقسامهم بين مؤيد للصوفية ومنكر عليهم ولا شك أن الفقهاء ما كان أغلبهم يميل إلى الصوفية لولا أنهم وجدوا السلطة تحاز إليهم فاتبعهم بحكم التقرب إلى السلطان والمجاملة له . وقد أفصح عن هذا الموقف ابن المقرئ في حديثه عن ميل الفهروزآبادي إلى الصوفية بقوله (أنه لما جاء إلى اليمن والشوك للصوفية ساعدتهم ووافقهم على ما يريدون)^(٣) وكان إنحياز الفهروزآبادي إلى الصوفية طعنة قوية في ظهور الفقهاء الذين كانوا يرون أنه في صفهم لتمكنه من علم الفقه وسائر العلوم الدينية

(١) المزجاجي : هداية السالك (مخطوط) .

(٢) الأمدال : كشف الغطاء ص ٢١٧ .

(٣) المزجاجي : المصدر السابق .

والآدبية وما كان أحد منهم يظن أنه سيوافق الصوفية على أفكارهم ويثنى على ابن عربي في رده على الفقيه ابن الحياط . وهذا ضعف في شخصية الفيروز اباذى لمسه ابن حجر وحاو تشخيصه بقوله (ولم أكن اتهم الشيخ بمقالة ابن عربي إلا أنه كان يجب المداراة) (١) .

وسيفظهر من شاكاة الفيروز اباذى كثير من الفقهاء يتخذون أصحابهم وهم في شدة النزاع حتى ان الصوفية يميلون من الاختلاف بين الفقهاء حجه اصلهم يشبهونهم في وجوه اعدائهم ونجدهم يملون من مكانة المؤيدين لهم من الفقهاء بل نجد المزجاجى يجعل من سكوت بعض الفقهاء عن التمرض للصوفية دليلا على موافقتهم لهم كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمى (المتوفى سنة ٦٩ هـ) الذى لم يؤثر عنه إنكار على الصوفية وكذلك لم يؤثر عن غيره من كبار فقهاء عصره أمثال إبراهيم العلوى وابنه سليمان وعبد اللطيف الشرجى ومحمد بن سعيد بن كبن وأحمد الذوالى وأبى بكر الرداد وعلى الناشرى وهؤلاء هم الذين ذكروهم المزجاجى محتجا بسكوتهم وبناء على ذلك موافقتهم للصوفية إلا أن هذا ليس دليلا شافيا إذ كان بإمكان الفقهاء أن يجهلوا من هذا السكوت حجة في صالحهم كما فعل خصومهم .

والقول الفصل في هذا الباب هو أن سكوت الفقهاء كان تقيه ومسايرة لسياسة الدولة إذ كان البعض منهم يشرف على مصالح كبيرة كما هو الحال عند محمد بن عبد الله الريمى الذى كان يتولى قضاء اليمن العام .

ومع ذلك سنجد الدولة لا تتنكب جانب الفقهاء نهائيا وتحاول أن تستعيرهم في كثير من القضايا المتعاقمة بالصوفية على اعتبار انهم الممثلون للشريعة وقد كان هذا في حقيقته عمل شكلى حتى لا يقال ان الدولة قد ركبت هواها في مسألة

(١) ابن حجر العسقلانى : ابناء القموج ٣ ص ٤٩

الصوفية فقد حدث (أن الملك الاشراف لما علم من بعض " بهاء لانكارهم لسمعاع الصوفية كتب إلى قاضي القضاء شمس الدين بن صقر سؤالا يسأله عن حكم السماع فكان جواب القاضي أن وضع مصنفنا حسنا في إباحة السماع وجوازها (١) وهذا القاضي كان من نفس النمط السابق الذي يتماشى مع سياسة الدولة حسب ظروفها وهو أحد كبار الموظفين الرسميين فقد تولى القضاء العام في اليمن وسنجد له ترجمة عند هانمغرة الذي يقول (هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صقر النساني عائش بالشام ثم حج وجاور بمكة فآخذ بها عن جمع من العلماء وعندما حج المجاهد حجته الأولى سنة ٧٤٢ هـ ورجع إلى اليمن دخل ابن صقر المذكور اليمن بصحبته فافضل عليه المجاهد ثم ولاه القضاء الأكبر في جبل قطر اليمن فلم يزل مستمرا على ذلك إلى أن توفي المجاهد فلما تولى ابنه الافضل زاد في رزقه ولم يزل مستمرا على القضاء حتى عصر الاشراف ثم توفي في آخر شوال سنة ١١٨٥ هـ (٢) .

وهكذا فإن الدولة بعد أن قربت إليها كثير من الفقهاء وجعلتهم في المراكز القضائية الهامة كان على أولئك الفقهاء متابعة رسالتها في سياساتهم العامة والخاصة حتى كانت هذه المتابعة سمة خاصة بالفقهاء في ذلك الوقت وقت وقد رأينا أحد الذين استسكروا عليهم هذا المسلك يصفهم (بالمحاباة والمداينة في دين الله .. بهذا غالب على فقهاء الوقت) (٣) بل نسمع أشد من هذا القول في نقد موقف بعض الفقهاء تجاه النزاع بين الفقهاء والصرفية كما سيتضح لنا فيما بعد وقد كانت أكثر منظومات ابن المقرئ في العيب على سلوك جماعته الذين التزموا الصمت وتركوا وحده في الميدان بمقارح الصوفية ومن ورائهم السلطة .

(١) الزجاجي المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) بامغرة : تاريخ نجر عدن ص ١٩٩

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧

وبالجملة فإن التناقض في موقف الفقهاء عما لاشك فيه وكان هذا أحد العوامل التي ساعدت على انتصار الصوفية على خصومهم في مرحلة النزاع الأولى والثانية ونجد عند أبي المقرئ تصوير لذلك الموقف في مقطع شعري (يقول فيه على لسان قومه من الفقهاء) : —

فقام لرهم منا رجال لهم فيه على الحق إستقامة
فاما الصالحون فما تلمكروا ولا قالوا نخاف من الملامه
وافتوا بالذى علموا وخافوا وهذا نال من رضى اكتامه
وأما غيرهم فرعى امورا وأثرها على يسوم القيامة
وقال الشيخ أحمد لى صديق وكل منه يفرط بالسلامة
فقلت الله عند سواك أولى وأجدر من صديقك بالكرامة^(١)

والشيخ أحمد المشار إليه هنا هو أحد الرداء وكان يتولى القضاء أثناء نظم ابن المقرئ شعره وهكذا يمتضى الفقهاء المنكرون في نعميم على زملائهم عدم المناصرة لهم .

ولم يبق من الفقهاء المعارضين للعرفية سوى قلة تكاد تعد بالأصابع وقد ترأسهم في المرحلة الأولى الشيخ أحمد بن أبي بكر الناشري وهو نموذج للرجل الصلب المراس الذى تكون صلابته سببا في إذيته واسباغ اللوم عليه من قبل الناس ويزكر من ترجم له أنه تولى قضاء زييد فكان يخلع منه من حين لآخر ففي سنة ٧٨٦ ول القضاء فخلع في سنة ٧٩٠ ثم أعيد في نفس السنة ثم انفصل في سنة ٧٩١ ثم أعيد سنة ٧٩٣ ثم خلع وهكذا حتى أن السخاوى وهو يكرر هذه التولييات والمزل يستشهد بالقول المأثور (ما ترك لى الحق من صديق)^(٢)

(١) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ٢٣

(٢) السخاوى : الضوء اللامع ج ١ ص ٢٥٧

ولعل سر هذا يعود إلى حده في مزاج الرجل وعدم ملاينه للناس . هذا من
السمة العامة لكل أعلام النزاع من الفقهاء وقد أريك خصومهم هذه الهتاف ، ولوا
تجريحهم والعيب عليهم من خلالها وأنت تلاحظ ذلك في قول المزجاجي مخاطباً
ابن المقرئ يقول (يا أخى حفظك الله الذنب والشحناء والمنافسة في بعض
الأمور تفعل بالعقل مثل هذا أو ترمى بصاحبها إلى هذا الحد (١)) وكأنه بهذا
القول يعرض بحجة امرجة خصومة من الفقهاء .

ونخرج من هذا كله إلى أن النزاع بين الفقهاء والصوفية قد ساعد في إيجاد
عدة عوامل محلية ونفسية حتى إذا حان الحين رأينا هذه العوامل تدير جلبيه
واضحة في صورة ذلك التصادم الذي نحن بصددده وقد كان للصوفية ضلوه بـرى
هند السلاطين الرسوليين وليس من السهل التغلب عليهم إلا عن طريق التآمر على
حلفائهم الأقوياء آل رسول وهذا مما يصعب حيث كان ملوكهم يعتقدون
الصوفية وقد مر بنا كيف أن الملك الأشرف كان يحسن الظن بالشيخ إسماعيل
الجبرتي وجماعته ومن بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل الرسولي
الذي امتد حكمه من سنة ٨٠٣هـ إلى سنة ٨٢٧هـ وعاصر القضية وهي في عنفوانها
فلم يدخل في النزاع إلا كزبد للصوفية وقد تمثّل ذلك في أكثر من موقف
للملك الناصر لعل أولها ذلك السؤال الذي طرحه أمام الفقهاء بشأن إتباع
ابن عربي وكان من الأسباب الرئيسية التي أثارت القضية من جديد واحداث
هوه بين فريق الفقهاء أنفسهم حيث اتت جواباتهم على السؤال مختلفة بين
مؤيد للصوفية ومعارض لهم .

أما نص السؤال فقد أورده القارى وهو كما يلي : —

(ما تقول السادة العلماء شدة الله بهم أزر الدين ولم بهم شدة المسلمين في

(١) المزجاجي : هداية السالك مخطوط .

الشيخ محيي الدين بن العربي رضى الله عنه وفي كتبه المنسوبة كالفنوحات
والقصص وغير ذلك فهل يجوز قراءتها وإقراؤها وهل هي من الكتب المسموعة
المقرونة أم لا فتونا ماجورين جوابا شافيا فيها التحوزا جزيل الثواب من
الله الكريم (الرهاب) (١) .

فأجاب على هذا السؤال مجد الدين الفيروز اباذى الذى كان الملك الاشرف
قد خصه بهذا السؤال وحده من دون بقية الفقهاء .

ومن هنا يدولنا أن الملك الناصر لم يستفتى الفيروز اباذى إلا لعلمه المسبق
أن جوابه سيكون لصالح الصوفية حيث كان الفيروز اباذى يحذ تمايلهم
ويحسن الظن بهم ومع ذلك فقد انت الحوابات من أكثر من جهة وكان من بين
المجيبين الفقيه ابن الخطاط الذى عرف بعدائه الشديد للصوفية فكان مطلع جوابه
(قد آن لابن الخطاط أن لا يأخذه في الله لومه لائم لا يجوز ولا يحمل تحصيل
كتب الشيخ ابن عربي لأقراءتها ولا إقراؤها فانها مردودة على مصنفها) (٢) وهكذا
كان جواب ابن الخطاط مناقضا لما ذهب إليه الفيروز اباذى فكان من المحتم
أن يرد عليه بقصد الدفاع عن نفسه ومن بين ردوده الكثيرة الرد المشار إليه آنفا
بمنوان (الاغتباط لمعالجة ابن الخطاط) على أنه أحد ردود ثلاثة أوردها
المزاجى في كتابه ومن بين الذين تصدوا للرد على ابن الخطاط ومناصرة الشيخ
مجد الدين الفيروز اباذى قادم آخر هو الشيخ محمد بن علي الشيبى زد على
ذلك أن كتاب (الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين) ما وضع إلا بقصد
الرد على ابن الخطاط وذلك بإشارة من أحد رؤسا الصوفية في ذلك الوقت (٣)

(١) القارى : مناقب ابن عربي ٦٤ .

(٢) المصدر السابق ٦٨ ويتضح من كلام القارى أن الملك الناصر خصه بسؤال مستقل

أوله (ما يقول الفقيه في الكتب المنسوبة إلى ابن عربي . الخ

(٣) يقول القارى في مقدمة كتابه (وبعد فهذه رسالة سميتها (السر الثمين . . . وارسلتها =

ومؤلفه هو الشيخ المرشد إبراهيم القارى وهو أحد القادمين الذين اتوا إلى اليمن خلال معصمة النزاع . وهكذا يتضح لنا أن الرافدون قد لعبوا دورا هاما في مسألة النزاع وكانت مشاركتهم الفعلية بالدفاع عن الصوفية في وجه خصومهم من الفقهاء عاملا في ميل الصوفية إليهم وتقربهم إليهم وقد اجتمع عدد الشيوخ الجبرتي جمع كبير منهم من مختلف الاقطار وأغلبهم من بلاد فارس الذين كانوا يعملون في اعتقادهم (إلى العلوم العقلية من غير معرفة بصحيح العقائد وفاسدها) (١) وكان من أبرز هؤلاء الشيخ عبد الكريم إبراهيم الجبل الذي توفي في زيد نحو سنة ٨٢٦ هـ وعبد بن محمود الكرمانى الذى كان قدومه في وقت متأخر من حياة الشيخ إسماعيل الجبرتي وقد قام بدور فعال في القضية حتى أن معاداة الفقهاء للصوفية قد تركزت في شخص هذا الرجل بما عرف به من جرائمه حفرت عليه خصومه .

وعلى العموم فقد تضافرت هناك عدة عوامل على نصرة الصوفية وكانت سببا في إسباغ الهزيمة على خصومهم الفقهاء فتعرض شيخهم أحمد بن أبى بكر الناشري لعدة مضايقات (حتى أنهم حملوا به إلى السلطان بكل ممكن من منتهى من الفتوى واخراجه من زيد وإعدام صبرته بالسكينة فحماء الله من شرهم) (٢) . وهذه هي الحالة العامة التي وصل إليها الفقهاء في مرحلتهم الأولى من النزاع مع الصوفية وهي حالة يؤس وعنا لا يكاد يسلم منها قبة ينسك على الصوفية شيئا من تعاليمهم .

الى الصنو العزيز لمريز الشيخ شهاب الحق والدين احمد بن الرداد الصوفى اليمنى كفتو قد الله شيخ احمد الرداد

(١) الامدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٢) الامدل : كشف النطاء ص ٢٢٠ .

« المرحلة الثانية »

ثم جاءت المرحلة الثانية من النزاع لترسخ سيطرة الصوفية التامة على الموقف بتولى شيخهم السكندر أحمد بن أبي بكر الرداد زمام القضاء العام وهو أعظم المناصب الحكومية بعد مرتبة الأمانة . وقد ظل هذا المنصب شاغراً مدة طويلة بعد وفاة محمد الدين الفيروز أباذى لم يشغله أحد من الفقهاء حتى سنة ٨٢٠ هـ وكان الملك الناصر ينوى توليته أحد معاصره العالم الإسلامى وقد ذكر العلامة ابن حجر المصقل أن الملك الناصر كان يرمع إعطائه القضاء العام وهو لا يزال في مصر (وقد تركه شاغراً هذه المدة منتظراً قدومه)^(١) ولما لم يحضر^(٢) رأى أن يتولى القضاء أحد علماء اليمن وكان يتشوق إليه جمع غفير من الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه إسماعيل بن أبي بكر المقرئ^(٣) الذى كان يرشعه لهذا المنصب أكثر علماء زمانه لتمكنه التام من معرفة علم الفقه وتأليفه فيه إلا أن الصوفية راوا في تولية ابن المقرئ زمام القضاء خطراً يهددهم (وخشى بعضهم أن يتمكن ابن المقرئ من الانكار عليهم)^(٤) فما كان منهم إلا أن أسروا بطلب القضاء عن الملك الناصر للشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد وكان هذا من ذرى الخطورة عند الناصر

(١) ابن حجر أنبأ الفهرج ٣ من ١٧٨

(٢) وصل ابن حجر المصقل إلى اليمن قبل هذا التاريخ مرتين الأولى سنة ٨٠٠ هـ والثانية سنة ٨٠٦ انظر مقالنا (العلماء القادمون إلى اليمن في العصر الرسولى) مجلة اليمن الجديد المحرم سنة ١٣٩٤ من ٣١) .

(٣) كان ابن المقرئ يطعم في تولي القضاء ويقال أن الملك الأشرف حينه السفارة إلى مصر (فتأخر ذلك لطعمه في الاستقرار في قضاء الأقضية فلم يتم له وكان يرجو قضاء الأقضية في حياة المجد الفيروز أباذى ويتعامل عليه) (البدر الطالع ج ١ ص ١٤٢)

(٤) أبا الفهرج

حجب (كان مجالسه اق خلو) و انفقهم عن (١) . و ان الملك الناصر
 تزوج ابنته بعد ذلك (٢) فأجلبهم إلى خون و مسألة تولي ابن القواد
 و منعية فيا تقف عند قوانين متعارضين لا تقول . ان ابن الرداد لم يسه إليه
 ولا تحيل لا محصاة . لا خطر فيه ولا تشو له (٣) . ولم يقبله إلا بعد تمنع
 شديد وقد وقف الملك الناصر به . إليه و يحضه عليه وهو يعتد . ويستغنى
 فلا يذره من ذلك (٤) . أما القول الثاني فيذهب إليه ان الرداد كان ممن
 منى إليه (وبادر إلى طلبه من الناصر) (٥) . وعلى كل فقد ارتضاء الملك الناصر
 فكان بهذا العمل قد أثار حفيظة الفقهاء الذين أخذوا يلزمون الملك الناصر
 في سلوكه و ينهونه (بهرب الخمر) (٦) و عدم المعبة بحقيقة العلم (٧) و
 انفقوا جميعا على أن ابن الرداد غير صالح لتولي هذا المنصب . الهاء فقد كان
 (مزجى البضاعة في الفقه عديم الخبرة بالحكم) (٨) . أما ابن الامدل فيرى أنه
 (ضعيف الأهلية لقلة العفة وعدم مراعاة وظيفة العلماء من التزهد . من سماع

(١) ابن حجر أنباء الفرج ج ٣ ص

(٢) المصدر السابق .

(٣) البريهي : تاريخ البريهي (مخطوط)

(٤) الزجاجة هداية السالك (مخطوط)

(٥) — (٦) أنباء الفرج ج ٣ ص ١٧٨ .

(٧) من ذلك قول ابن المقرئ (ممرضاً بالملك الناصر في عدم تفرقة بين شيخ التصوف

وشيوخ الفقه يقول :

انصب شيخ للفناوى فيسكم كما الشيخ منكم للتصوف ينصب (ديوان ابن

المقرئ ٤٩) .

(٨) ابن حجر أنباء الفرج ج ٣ ص ١٧٨ .

الملوك المتكبرين وهو المجلد (١١) وكذلك ابن المقرئ فقد سخر من تولى ابن الرداد
القضاء وحاول التوصل من يدين ميله إلى القصر يقول

قال تاحض القضاء يا ملك العصور
بها ونور طبع الزمان (٢)

وازن الرقص بالقضاء وتخير
ارجح الخصمين في الميزان الخ..

على ان قضاء ابن الرداد ليس له سياست كما يصفه خصومه فهناك بعض الحسنيات
التي ادخلها نحن طفا (٣) وفيه في رشح ارجح الوقف الذي كان يفتك الملوكة من الوقف (٤)
في دقارهم وصول مصر (الوقف) الذي كان يفتك الملوكة من الوقف (٤)
أما قاعدته في ممارسة القضاء فقد أشار إليه بعض اصحابه فارجحوا قوله (اذا جاءته
خمس وماتت بزوجها إلى نوبة قضاء لا يتبع بعدد سماع الدعوى والإببات وفي
بعض النسخ ما يأتي القاضي للامانة لتبطل الحكم عنده تورعاً منه أن يباشر
الحكم بنفسه (٥).

ومكثوا يبدوا لنا ان الرداد كان عنده أهلية لتولي هذا المنصب الكبير وليس
الامر كما ذهب إليه خصومه إلا أنه قد اشتط في حق اعدائه ولم يراعى معهم
الانصاف الذي يتطلبه منصبه حتى اصبح توليه القضاء من اكبر الخن التي قاسى
منها الفقهاء وقبل الدخول في تفاصيل أعماله الانتقامية ضدهم نحب ان نشير إلى
أن المقارنة من قبل الفقهاء ظلت مستمرة بعد وفاة رئيسهم أحمد بن زيد بكر
الناشري ولم ترمهم بذكاة الصوفية التي وبل إليها عهد شيخهم ابن الرداد
وكان من اعلامهم في هذه الفترة ثلاثة أشخاص تزعموا الحركة ضد
الصوفيون

(١) ابن الاثير : كشف الظالمين ٢١١

(٢) ابن المقرئ : مجموع ابن المقرئ ص ٢٤

(٣) البرهني تاريخ البرهني (مخطوط).

(٤) المزاجي : حداية السالك (مخطوط).

- ١ - محمد بن علي بن نور الدين الموزعي المتوفى ٨٢٥ .
- ٢ - إسماعيل بن أبي بكر ابن المقرئ المتوفى ٨٣٧ .
- ٣ - كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي^(١) المتوفى سنة ٨٥١ .

فأولهم وهو الشيخ الموزعي كان على جانب كبير من المعرفة لاسرار نحلة ابن عربي وقد قام بنفسه بدراسة كتبه والرد عليها في مؤلف له ويقول ابن الاهدل أنه أول الفقهاء الذين باسروا قراءة كتب ابن عربي والرد عليها من تصورها المستقاء منها . وقد مكنته معرفته من مناظرة أصحاب هذه النحلة فقد ذكر ابن الاهدل أنه ناظر الشيخ محمد بن محمود الكرماني - أحد اتباع ابن عربي في اليمن - إلا أن المناظرة لم تسكن (بحضرة من يبر الحق ويقضي به بل بحضرة من هو بصدد المحاماة والمدافعة في دين الله وعدم التحقيق لاصول الدين وأقول الزائفين)^(٢) وهكذا فإن الموزعي لم يتم له التغلب على خصمه لوجود فئة كانت تناصر الكرماني واغلب الظن أن هذه المناظرة حدثت في عهد تولى ابن الرداد القضاء على أن ابن الرداد نفسه كانت له جولة مع الموزعي في المناظرات وقد استدعاه من قريته إلى مدينة زبيد (فلما وصل اجتمع مع جماعة من الفقهاء والصفوية في مجلس حافل وطلب ابن الرداد مناظرته فأبان الموزعي حجته ببطالان كلام ابن عربي في كتبه)^(٣) ويبدو أن الغلبة هذه المرة كانت للموزعي حتى أن الصفوية (همت بالفنك به فقام لنصرته الأمير محمد بن زياد

(١) هو موسى بن عبد الله الضجاعي كان من كبار فقهاء عصره تولى التدريس بجامعة زبيد وانتهت إليه رئاسة الفقه والحديث له من المؤلفات (غاية الأمل في فضل العلم والعمل) وكتاب (الأقوال الواضحة الصريحة) ١٢٢ السابق ذكره .

(٢) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٣) البرهني : تاريخ البرهني (مخطوط)

فخلصه منهم) (١) وهكذا 'لجا الصوفية إلى القوة في حين كان عليهم مقارعة الحجة بالحجة ، وما تعرض له الموزعي من قبل الصوفية ليس إلا بداية المحنة والتشكيل بالفقهاء في عهد ابن الرداد الذي سنعرض له فيما بعد .

أما الشخصية الثانية فهي شخصية ابن المقرئ وهو العلم الأكبر في قضية النزاع . حتى كاد أن يغطي أحدهما بمفرده دون الاعتماد على غيره وسنجد اسمه يبرز واضحا خلال المرحلتين الثانية والثالثة من النزاع في حين لا نؤكد نجده له ذكرا في أحداث المرحلة الأولى وهذا الأمر سيدفعنا إلى التساؤل عن سر تباطى ابن المقرئ في مناصرة الفقهاء وقد كان في ذلك الوقت في سن تأمله للمشاركة في القضية حيث كان قد تجاوز الخامسة والعشرين هنا نجد حقيقة الخبر عند بعض المؤرخين الذين اهتموا بالكتابة عنه فقد أشار إلى هذا التباطى صراحة مناصرة المؤرخ ابن الأهدل بقوله (بعد مرثتنا نشرى قام بالانكار القاضي شرف الدين إسماعيل ابن ابى بكر المقرئ ولم يكن قبل ذلك يعرض لشيء من ذلك) (٢) أى أن ابن المقرئ لم يسن من المنكرين على الصوفية في حياة الناشرى وقد كهدف لنا من هذا الجانب المجهول من حياة ابن المقرئ معاصرة المؤرخ الذى وقف بنفسه على مخطوط من كتاب (الوصايا) (٣) لابن عربى مع نقولات مختلفة من كتاب (كنه مالا بد منه للمريد) لابن عربى أيضا بقلم ابن الأهدى بما يوحى بان ابن المقرئ كان يستحسن شيئا من آهالىم ابن عربى بل أنه قد اثناء عليه بكلام حسن في أول المجموع لتستمتع للمزجاجى وهو يخاطب ابن المقرئ مذكرا له بهذه

(١) المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) الأهدل : المصدر السابق ص ٢١٧ .

(٣) كتاب الوصايا يوجد غالبا بآخر كتاب الفتوحات المسكية لابن عربى انظر مثلا طبعة

سنة ١٣٢٩ ج ٤ ص ٤٤٤ .

القضية بقول (وقد وقفت لك بما أخى على جمع (مجموع) كنيته بخطك مختصرا فيه كتاب (الوصايا) للشيخ محي بن عربي ذكرت في أول شيئا من كتاب (كنه مالا يد منه) للشيخ محي الدين بن عربي لوقوعه عندك موقعا حسنا فلذلك أثبت عليه في أول الترجمة فقلت (الشيخ الإمام العارف بالله محي الدين بن محمد بن عربي نفع الله به) هكذا هو عندى بخطك في الجمع المذكور (١) ومن هذه الحجة التي اشرها المزجاجي في وجه ابن المقرئ يتضح لنا جليا أن ابن المقرئ قد تأخر عن نصرة الفقهاء في مرحلتهم الأولى حتى كان هذا التأخر سببا في منافرة جماعة له من آل الناشري الذين أنكروا عليه عدم مناصرته لقريبهم الشيخ أحمد الناشري وسجد ابن المقرئ أمام هذا الإتهام قد برر موقفه بعذر مقبول وهو أنه لم يكن له علم فلسفة بن عربي الصوفية وعلى الأخص تلك التي بثا في كتابه (الفصوص) وذلك أثناء مصارعه الناشري للصوفية بقول :

قالوا تعجب آل الناشري على تخلفي عن أخيم غاية العجب وقيل لم أناصره غداً تلقى في القول بالحق مالا يقى من التنبؤ والمصدر إلى لم اعثر بمدته على الفصوص وهذا الكفر والكذب (٢) والمهم فأننا نريد أن نخرج من هذا كله إلى بداية نحدد شأن ابن المقرئ في الإنكار على الصوفية وأغلب الظن أنها كانت بعد تولي ابن الرداد القضاء العام فقد أثار فيه استنثاره ابن الرداد بمنصب القضاء روح الإنكار على الصوفية ومن سار سيرهم حتى كان هذا عاملا على التنقيش على مسأرتهم والبحث عن فضائهم الخلقية والدينية إذ ليس من السهل على ابن المقرئ أن يترك خصمه يتمتع بهذا المنصب الكبير وهو الذي طالما سعى في الحصول عليه .

(١) المزجاجي : المصدر السابق

(٢) ابن المقرئ : مجموع شعره ص ٩٠ .

ومن هنا أتى سخط ابن المقرئ على الصوفية في شخص ابن الرداد ثم أصبح بعد ذلك عقيدة راسخة عنده يدعوا إليها عن محض الإيمان والثنية الخاصة وقد اكتشف هذه الناحية أحد أنصار ابن الرداد فذهب إلى أن إنكار ابن المقرئ على الصوفية لم يكن إلا بقصد الاساءة لشخص ابن الرداد يقول المزجاجي مخاطباً المقرئ^(١) (وكأنك ما قصدت بالاطناب في الطعن في ابن عري إلا توصلاً لإيلاء الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد والقدح فيه والطعن في الطائفة الصوفية وذلك لما نافست من لا يقصد منافستك ولا منافسة غيرك) ولعل المنافسة التي يعينها المزجاجي كانت حول مسألة تولي القضاء العام ولا أظن أن الشيخ ابن الرداد قد تولي القضاء بقصد الإغاضة لابن المقرئ ومنافسته وإنما كان ذلك منه خشية من أن يتولى هذا المنصب الحام رجل ليس له إلتما يذكر بالصوفية ويبدو أن الفترة الطويلة التي أعقبت وفاة الفهرز أباذي وجعل القضاء العام شاغراً كانت قد أبانت ابن المقرئ كشخص معارض للصوفية وإلا لما كان ابن الرداد قد سعى في القضاء بقصد إزاحة ابن المقرئ عنه .

وعلى كل فإن بداية معارضة ابن المقرئ للصوفية مسألة تحتاج إلى نصوص صريحة تبين زمنها التاريخي وبالرغم من أن جامع ديوانه قد أشار إلى أول قصيدة قالها في الرد على الصوفية^(٢) إلا أنه أغفل تاريخها وبذلك يسكون قد أضعافنا آخر دليل معاصر يمكن أن نقشبث به حول بداية ابن المقرئ مع الصوفية ولم يبق أمامنا سوى أن نجعل من معارضة ابن المقرئ لابن الرداد بداية لإنكاره على الصوفية عموماً وقد بدأت أولاً على شكل مقطعات شعرية كان يقولها في ذم

(١) المزجاجي : المصدر السابق (مخطوط) .

(٢) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤ وهذه القصيدة مطلعها :

برئ سنة خير المعجم والعرب أصبحت مساجدها للهو واللعب

الصوفية ثم طورت إلى أن أصبحت مشاركة فعلية مع رجال النزاع الذين تاهضوا الصوفية وقد كان ابن المقرئ قد شن حرباً على الصوفية أثناء تولي ابن الرداد القضاء العام كما رأينا ذلك في أكثر من حادثة تاريخية أشار إليها المؤرخون ويقول ابن الاهدل أن ابن المقرئ قبل أن ينصدي للرد على الصوفية استأذن في ذلك السلطان الناصر فوعده السلطان بالقيام في نصرة الحق إن أجمع القضاء على انكار أفكار الصوفية الشاطحة ووعده بانلاف تلك الكتب (١) وقد كان هذا الموقف من قبل السلطان الناصر بداية حسنة بالنسبة لابن المقرئ وشجعه على مواصلة السهر في مناهضة الصوفية فجمع كراسة كبيرة فيها كل الأقوال التي خرج بها الصوفية عن قاعدة الشريعة ثم عرضها على الفقهاء (فافتنى بتكفيرهم أكثر فقهاء الوقت بناء على ما جمعه ابن المقرئ) (٢) وعلق ابن الاهدل على موقف بعض الفقهاء خلال سعي ابن المقرئ في جمع الفتاوى بشأن الصوفية أن (بعضهم أطلق التكفير وبعضهم هلق بصحة ذلك وبعضهم أحجم عن الجواب مراعاة لابن الرداد إذ كان ذلك في حياته) (٣) ومهدداً فإن ابن المقرئ استطاع أن يجمع نصوصاً كثيرة من فتاوى العلماء بلغت ثلاثين فتوى من ثلاثين عالماً كما يتبين لنا ذلك من شعر ابن المقرئ :

فهذا كتاب الله بينى وبينكم يهزى محباً المكابر
وهذا خطوط الانقياء ذوى الهدى وأهل العلوم النهرات الزواهر
ثلاثين حبرا كلهم عند ربهم مسكين أمين غير خب مغامر (٤)

(١) ابن الاهدل : كشف الغطاء ص ٢١٧

(٢) ابن الاهدل : المصدر السابق ص ٢١٦ وتحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) ابن الاهدل : تحفة الزمن مخطوط .

(٤) ابن المقرئ مجموع شعره ص ١٨

وكان هذا التحرك النشيط من قبل ابن المقرئ دافعا قويا لقيام ابن الرداد بمجابهته والرد عليه في مؤلف مستقل لعله كتابه المسمى (الشهاب الناقب في الرد على بعض أولي المناصب) وكان ذلك منه بقصد إحباط مسعاه عند الملك الناصر وقد احتفظ لنا ابن المقرئ بشيء مما كان يرد عليه خصمه في كتابة المذكور من ذلك قول ابن الرداد ان ابن المقرئ في نقده للصوفية ليس إلا مقتابا فيجيبه صاحبنا :

هل الأمر بالمعروف عندك غيبة وهل سب عرضا من نهى عن مناكر^(١) وينفى ابن المقرئ عن نفسه الدعوى بتكفير ابن الرداد التي يتهمة بها فيقول: ففى أى بيت قلت أنك كافر وما كان هذا القول منى بصادر^(٢) وفى نهاية الأمر يسخر ابن المقرئ من تأليف خصمه في الرد عليه ويقول له (هلا استشرت أحدا من الناس عند تأليفه) .

فملا استشرت الناس عند كتابه فما كنت تخلو من نصيح مشارر ولو أعطى المعطى كتابك رشده طواه على غرائه والمكاسر واخفاه لكن ما لمعطى بعورة إذا كشف البارى غطاءه بسائر^(٣) وسنجد ابن المقرئ يذكر خصمه بكثير من المواقف التي وقف فيها معارضا له بقصد المعارضة لا غير كخذلانه عند السلطان بشأن مساعدة مسلمي الحبشة وملكهم المحاصر من قبل أعدائه الكفار :

انذكر إذ شرت ذيلك ناهضا لخدلان سعد الدين يوم التناصر وقد جاء علم أن كفار قطره غشوه وقد اضحى ببعض الجزائر

(١) المصدر السابق ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦ .

فناديت يا للمسلمين رجالكم فسففت رايي هل نقضت مرأى
 ونازعنى عند المليك معارضا لما جاء في دفع العدو من أوامرى
 وافنيت أن ليس الجهاد بواجب علينا وقد مالاك بعض الحواضر
 فاسقطت انما هن رجال غررتهم وبؤت به مثل الرواسى السماخرى
 فلو قدرت هن بابك لك غيبه لفرج بالغارات كرب المحاضر
 وطبق ظهر البحر جيشا إليهم نظير باقلاع الجوارى الماخرى
 حضرت لاجال حضرن ولو بقى لهم أجل ما كنت فيها بمحاضرى
 وظلت سيوف الكافرين تنوشهم وتطعمهم غرثا الطيور الطواثر
 واكبادنا تصلى بنار من الاسى وأنت بنا تهزأ قرين النواظر
 تعجبهم من إننى قلت خطبة أحاول نصر الدين من غير ناصر
 وما بى يستهزئ بى ولكن برىنا فائمه صنمى ولا من أوامرى^(١)

إلى آخر هذه الآيات التى تشرح قضية تاريخية أغفلها المؤرخون من أهل اليمن^(٢) وتتلخص فى أن ملك الحبشة المسلم سعد الدين^(٣) حاصر من قبل الكفار فطلب من الملك الناصر مساعدته بالسلاح والجنود وقد ايدته فى طلبه هذا ابن

(١) المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) كل ما ظفرت به حول هذه الحادثة التاريخية هو قول المؤرخ يحيى بن الحسين فى حوادث سنة ٨٢٥ هـ أى بعد طلب ملك الحبشة المساعدة بحو اربع سنوات - (فيها قدم ولد سعد الدين المجاهد من الحبشة الى بندر البقعة منهزمين من المشركين ثم دخل مدينة زبيد فنهض إليهما السلطان من تعز واكرمهما وجزهما بمائتى فرس وما يتبعها .

(٣) هو جمال الدين محمد بن سعد الدين قتل سنة ٨٣٥ هـ (أنظر ترجمة فى انباء النعم

ج ٣ ص ٤٨٧)

المقرى وحرص الناس بالخطب بقصد التطوع والجهاد إلا أن ابن الرداد وقف له معارضا محتجا في ذلك بأن الجهاد غير واجب على المسلمين في تلك الأعصار إلى أن كانت الدائرة على المسلمين وهزم الملك سعد الدين نتيجة لموقف ابن الرداد المعارض ومن هنا رأينا ابن المقرى يتحسر على عدم نصرته ويحمل خصمه مسؤولية تشييط الهمم من القيام بواجب الجهاد .

وكانت هذه الحادثة في حقيقتها صورة من صور المنافسة بين الرجلين وقد ربط ابن المقرى بين هذا الموت لابن الرداد وتنكيله بمجموع الفقهاء من المنكرين على الصوفية فيقول :

ولا ملقى في الله منك رجاله من الهول في إنكاره والمخاف
كمن ابن نور الدين حياة وبه ومثل الحرازي والرجال الآواخر
وكانناشرى الخبر أحمد ذى التقا ملكك بما اذيت كل ناشرى

وهكذا يعضى نقد ابن المقرى أخبا عنيفا فلا يكاد يسمعه خصومه حتى يتحاشونه بالعديد من الرودود المصنفة وقد ذكر البرهوى أن نقد ابن المقرى على الصوفية اشتهر شهره واسمه حتى (بلغت شهرته إلى مصر والشام) .

« مخنة الفقهاء »

وسواء وفق ابن المقرى في رده على الصوفية أم لم يوفق فإن ابن الرداد استطاع أن يثنى هزم السلطان الناصر عن القيام معه في وجه الصوفية بعد أن جمع له ابن المقرى الفتاوى المطلوبة فتصل من كل ذلك ولم يبق بوعده . وهذا يجرنا إلى البحث حول سياسة الناصر التي تعتمد في كثير من الأحيان على أساليب المراوغة وعدم تغليب أحد الفريقين المتنازعين على الآخر وهي نفس السياسة التي تبناها والده الملك الأشرف وإن كان الأخير له بعض الميل الملحوظ إلى

ناحية الصوفية بل قد رأيناه في آخر عمره ينحاز كلياً إلى جانب الصوفية كما سنرى ذلك فيما بعد .

وهكذا فإن العمل الذى قام به ابن المقرئ ومن تبعه من الفقهاء في التحريض على الصوفية ليس له أثر ايجابى يذكر وكل ما احرزوه هو آثاره السيئة ابن الرداد عليهم الذى سعى في التشكيل بهم مدعوماً في ذلك بمركزه الهام وصلته الوثيقة بالملك الناصر فقد ذكر ابن الاهدل أنه لما نصح الفقهاء في تحريض العامة على الصوفية وشاع (تمكفير من يتدين بمذهب ابن عربى في مدينة زبيد)^(١) اتصل ابن الرداد بالملك الناصر وكان في ذلك الوقت بصطاف في مدينة^(٢) تعز وشكى إليه فعل الفقهاء فخشى السلطان ان تحدث (فتنة بين الفقهاء والصوفية بمدينة زبيد ويحصل في المملكة حدث)^(٣) فاصدر أوامره بتسكين الفريقين إلى أن يعود من مدينة تعز وفي تلك الاثناء اغتتم ابن الرداد فرصة الهدوء النسبى وقام بحمله شاملة لتأديب الفقهاء فمنهم (من ضرب ومنهم من اخيف ومنهم من هرب وخرب داره ومنهم من رجع عن تمكفير ابن عربى واتباعه)^(٤) .

وكان من ضحايا الحادثة الفقيه ابن نور الدين الموزعى الذى مرت بنا مناظرته لابن الرداد فقد سعى هذا في نزع أسبابه المعيشية وحاول القضاء عليه بكتابة محضر (كتبه عليه قاضى موزع يومئذ وكان من أصحاب ابن الرداد

(١) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٢) كان الاصطيف بمدينة تعز من العادات المتبعة عند الرسوليين وقد اشار إليها العمري في موسوعته مسالك الأبصار يقول « ان صاحب اليمن يصيف بتعز ويشتى يزبيد » انظر مسالك الأبصار « قسم خاص بملكية اليمن ص ٤٦ » .

(٣) الاهدل كشف الغطاء ص ٢٢١ .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

فسلمه الله من شره) (١) ثم أمر بنفيه من بلاده ومن بين المضطهدين الفقيه ابن الحرازى (٢) الذى نفى من اليمن بسبب فتوى قالها فى تحريم المساع كما نستدل من نظم ابن المقرئ يقول :

أفتى الحرازى بتحريم الغناء فنفى عن البلاد كما ينفى آخر الجر (٣)
أما ابن المقرئ فأغلب الظن ان ابن الرداد لم يستطع أن يمس به بسوء لأسباب تعود إلى شخصية ابن المقرئ القوية ومكانته العالية فى الدولة إلا أن بقية الفقهاء قد أصابهم الاذى الشامل فنهزم من ضرب ومنهم من نفى ومنهم من سجن وقد أجمال لنا هذا الموقف المؤرخ ابن الاهدل قال عند حديثه عن ابن الرداد (ونصب الخلاف لفقهاء وقته لانكارهم عليه بالشرع وجرت لهم أمور يطول شرحها من السعى إلى السلطان بالاذى والامتحان للفقهاء فوقعوا بسببه فى شدائد) (٤) .

أما ابن المقرئ فيصور هذا الموقف بأسلوب شعري مؤثر فيقول :
فى كل يوم فتى أما يحاط به منهم فبسحب سحب الجازر الجزرى
أو هارب منه قد قامت قيامته فطار فى الأفق لا يلقى له أثرا
تقسمتهم بقاع الارض فانفذوا وخلفوا فى القلوب الحزن مستعرا (٥)
ولم ينج الفقهاء مما أصابهم فى محتهم سوى موت ابن الرداد فى سنة ٨٢١
(فكان موته فرجا عظيما للفقهاء) (٦) .

وموت ابن الرداد تنتهى جولة ثانية من الصراع بين الفريقين

(١) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٢) لم أفت على ترجمة هذا الرجل لعدم ورود اسمه كاملا .

(٣) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٩ .

(٤) الاهدل تحفة الزمن .

(٥) ابن المقرئ مجموع شعره . ص ١٥ .

(٦) الاهدل كشف الغطاء ص ٢٢١ .

« المرحلة الثالثة »

فقد الصوفية بموت ابن الرداد أكبر مناصريهم أمام خصومهم من الفقهاء إلا أنه لا يزال هناك من يدافع عنهم بكل قواه وعار رأس هؤلاء الملك الناصر الذي احتضن اتباع الشيخ ابن الرداد بعد موته ووقف في وجه كل من ينسكركم عليهم .

ولم يبق إلا اثنان يرجى لواحد متاب ولثاني حسام مجرب^(١) فالأول هو الشيخ المزجاجي الذي يتوقف ابن المقرئ في أمره ويرى أنه (صالح وسليم النية)^(٢) وإنما كان يحسن الظن بابن عربي ويرغب في تعاليمه عن جهل بحقيقة أمره ومع ذلك فهذا الرجل هو الذي تصدى لابن المقرئ في مؤلف ضخمة كتبه قبيل وفاة ابن الرداد بأشهر قليلة وسنعرض له فيما بعد .

وأما الثاني فلا شك أنه يعني به الكرمانى وقد كان ابن المقرئ يقول بتكفيره منذ مدة وقد دعى إلى قتله في أكثر من قصيدة موجهة إلى السلطان على اعتبار أنه (يعتقد مقالات ابن عربي ويعرفها بأعيانها)^(٣) هؤلاء هما شخصى النزاع اللذان ترأسا الممركة من قبل الصوفية وسنجدهما قد استعملتا نفس السياسة التى سار عليها سلفهم من الصوفية أمثال الجبرتي وابن الرداد في التقرب إلى السلطان والاستعانة به في مجابهة خصومهم من الفقهاء فقد كان المزجاجي على الرغم من أنه صاحب مروءة ويسار إلا أنه لم يترك جانب السلطان في الاستعانة به على خصومه وكذلك الكرمانى^(٤) .

(١) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤٦

(٢) الأمدل : تحفة الزمن (مخطوط)

(٣) الأمدل المصدر السابق

(٤) الأمدل المصدر السابق ويقول البريهي في حديثه عن المزجاجي (وصحب الملك

الاشرف وابنه الناصر وكانت له منزله عندهما)

وقبل الدخول في تفاصيل أحداث النزاع التي أسفر عنها تحرش الفريقين ببعضهم البعض نحب أن نقف قليلا عند طبيعة العلاقات التي ربطت بين رئيسي النزاع في هذه المرحلة من تاريخ الصوفية والفقهاء وأهني بهما المزجاجي وابن المقرئ وقد إبان عن هذه العلاقات كل من الرجلين في الردود التي تخللت النزاع وأنت محمد ابن المقرئ قد صرح بصداقته للمزجاجي في أكثر من مقطع كقوله .

وما عجبى من أعجمي^(١) وبغضه لدين بفضل المعجم لا العرب معرب
فذاك عدو والشهيد محمد ولكنني من صاحب لي اعجب^(٢)
ويذكر عن مفارقتها له بعد نزاعه معه في مسائل التصوف فيقول :
فعادتيه في الله من بعد ماضى لنا زمن وهو الصديق المحب
وجانبة إذ لم يكن لي مخلص من الله إلا هجرة والتجنب
وما كنت ارضى هجره وفراقه ولكن رضى البارئ أم وأوجب^(٣)
فابن المقرئ يؤكد صداقته للمزجاجي في كثير من نظمه حتى تلك المقطوعات التي تلمس فيها نقده اللاذع له .

أما المزجاجي فنجد أنه يذكر ابن المقرئ متبوعا بلفظ أخى وصديقى (إذن فهناك صداقة بين الرجلين لاشك فيها إلا أنها سرعان ما أستحالت إلى هداه سافر على أثر اختلافهما في المبدأ وقد توج هذا العداء بثوان المزجاجي المسمى (هداية السالك إلى أسنى المسالك) في الرد على صديقه ابن المقرئ وهو

(١) يعني به الكرمانى .

(٢) ابن المقرئ : ديوان شعره ص ٤٢

(٣) المصدر السابق ص ٤٧ .

مؤلف ضخم فرغ من تأليفه في (أواخر شهر جمادى الأولى من سنة ٨٢١)^(١) أي قبل وفاة شيخه ابن الرداد بنحو خمسة أشهر فقط^(٢) .

وقد طالع ابن المقرئ هذا الكتاب الذي خصص في الرد عليه وحاول نقده في العديد من قصائد التي حفل بها ديوانه ومن خلال ما جاء في رد ابن المقرئ نستشف كثير من القضايا التي عالجها المزجاجي .

فقد أشار ابن المقرئ — أولاً — إلى هذا الكتاب وحاول تصنيفه ما جاء فيه بقوله : —

وصنفت شيئاً عنه قد كنت في غنايه في الأناشيد وفي الأرض اشخب
وفيه روايات نات سقيمة ولا حكم ان صححت عليها يرتب
خرافات ليل والخرافات للنساء ورؤيا منام والمنامات تقلب^(٣)
ثم يعرض إلى تلك الروايات التي يكررها المزجاجي في ثناء العلماء على ابن عربي ويحاول ابن المقرئ ان يعتذر لهم بأنهم لم يعرفوا حقيقة هذا الرجل وقد غرهم باسم التصوف .

ذكرت رجالاً قلت انتم ا بمصالح على شيخكم والبعض شكوا واضربوا
فهيئات ما مثن ولا ساكت درى بما عنه معكم في المجالس يخطب
ولكنه باسم التصوف غرهم فظنوا وللصوفى صلاح ومنصب^(٤)
ويعرض لتكذيب المزجاجي له في روايته التي قال فيها ان كتب ابن عربي حرق في مصر وذلك كأن يقول المزجاجي مخاطباً ابن المقرئ (وأما قولك

(١) المزجاجي هداية السالك مخطوط .

(٢) توفي الشيخ ابن الرداد في شهر ذي القعدة سنة ٨٢١ هـ

(٣) ابن اري : ديوان شعره ص ٤٤ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٤ .

في القصيدة الرائية ان كتب ابن عربي - رقت في جميع الارض فحاش لله ويا ابي
الله ذلك ما سمع بهذا في بلد من بلاد الاسلام فكيف في جميع الارض العاقل
مثلك لا يتكلم بكلام مجاز - لا أمل له في كتاب من كتب العلماء المعتبرين ولا في
تاريخ من تواريخ المسلمين (١) هنا نجد ابن المقرئ يرد على المزجاجي مؤكدا
قوله السابق في رأيته فيقول .

بل ثقة من مصر قال رأيته (٢) يطاف به في حق كلب ويسحب (٣)
ويفند قول المزجاجي في نصيحته له (مالك يا أخى وللصوفية وعلومهم لهم
علوم وأحوال ومكاشفات من عند الله فأنا وأنت من خيل هذا الميدان اتركهم
وعلومهم واشتغل بما هنيئك) (٤) لنستمع لابن المقرئ وهو يرد عليه في هذه النقطة:

فان قلت لا أتم ولا أنا عارف	بقالة بل مقصد الضمير أغرب
نقل لك لم تكذب بما أنت واصل	لنفسك لكن أنت في الغير أكذب
فان هنا لو كنت تعقل من بهم	تدر ضروب المشكلات وتحب
إذا كنت لا تدري فدع ما جهلته	وقل رسول الله تنج وتصحب

(١) المزجاجي هداية السالك مخطوط

(٢) يعني به كتاب الفصوص لابن عربي .

(٣) ابن المقرئ ديوان شعر ص ٤٤ وفي القصيدة السابقة التي رد عليه المزجاجي فيها يقول

ابن : المقرئ :

أما حرقت في مصر والشام كتبه باجماع أهل العلم باد وحاضر
ويؤيده في ذلك أن البلقيني قاضي مصر في عهد ابن المقرئ كان من خصوم أتباع ابن عربي
فلا نستغرب أن يقوم بحرق كتب ابن عربي .

(٤) المزجاجي : هداية السالك مخطوط .

عرفنا كلام الله جل جلاله مدع ما يقول الأهمى المتعرب (١)
يقول مخاطبا المزجاجى : إذا كنت لا تدري ما يعينه شيخك ابن عربى فإن
من هذا كله أن توجه إلى الكتاب والسنة فهو أول من تقليد ذلك الشيخ الأهمى
ويعنى به الكرماني .

وهكذا يعنى ابن المقرئ في تنفيذ جميع خصمه الواحدة تلو الأخرى .

وقد أصبح ذلك الكتاب الذى وضعه المزجاجى في الرد على ابن المقرئ صورة
من مخلفات المعركة بين الفريقين فظهر أمره وعلى وجه الخصوص أثناء النزاع
المحتمد بينهم واختلاف الآراء حوله فلفقها يرون فيه أنه (احتوى على حكايات
وخرافات) (٢) ومنهم من يشكك في نسبته إلى المزجاجى وقد زعم الأهدل أنه
(استعان في تأليفه ببعض المتفقهيه) (٣) .

والآن — بعد أن عرضنا نماذج — من الجدل المستعربين المزجاجى
وابن المقرئ — سنجد أن الصوفية لم يكتبوا في خصوصتهم مع الفقهاء بمجرد
الردود الكتابية فقد سعوا بكل تقاليم عند السلطان الناصر بقصد إذية ابن المقرئ
وقد سبق ذلك عدة وشايات على شكل قصائد أرسلت إلى السلطان تزعم أن ابن
المقرئ لم يكن يعنى بشكوا الزمان سوى التعريض بمكانة السلطان نفسه ونسمع
أحدهم — وهو ابن روبرك — يقول في آخر قصيدة أرسلها إلى الملك الناصر
معرضا بابن المقرئ .

لا يشتكى ريب الزمان معرضا لك إذ بدأ من غيره تعريض
لا يحمده النعماء ولا هو يدعى حق العلو بأنه منخفض

(١) ابن المقرئ مجموع شعره ص ٤٥ .

(٢) ابن الأهدل تحفة الزمن مخطوط .

(٣) المصدر السابق (مخطوط) .

ويظن أن له علو ما جمعه يشفى بها الأمراض وهو مريض^(١)

محنة ابن المقرئ

وهذه الوشاية وغيرها هيأ خصوم ابن المقرئ الجور المناصب الإيقاع به عند الملك الناصر فما أسهل من التأثير على شخص مثل الناصر بما عرف به من تقلب في قبول الأشياء ورفضها وقد وقع هذه المرة تحت تأثير جماعة من كبار الصوفية أمثال الكرماني والمزجاجي اللذان كان لهما ضلع رئيسي في محنة ابن المقرئ وقد ذكر الأهدل أن الملك الناصر لما قرب إليه الكرماني (قبل منه وشاينته في ابن المقرئ)^(٢) وسرعان ما تحول من صديق مخلص إلى عدو مبين . فأخذ ابن المقرئ حذره من تحريك الملك الناصر ضده حتى إذا أرسل جنده إلى منزله بقصد قبض عليه نهج ابن المقرئ قد فر مختفياً إلى قرية بيت الفقيه في حمى المشائخ بنى عجيل فلم يستطع الناصر من أن يمس به بسوء ويقول ابن الأهدل في وصف هذه الحادثة (أرسل الملك الناصر من هجم على منزله بالنخل وقبض العسكر جماعة من الطلبة وسلم ابن المقرئ ومنزله وكتبه ولم يؤخذ له شيء)^(٣) وهكذا لم يراعى الملك الناصر في صديقه القديم علمه ولا شيخوخته وكان قد ناهز الثمانين سنة^(٤) وقبل من ابن الكرماني سعايته فيه ولعل ابن الكرماني وإضرابه من الصوفية وجدوا في القصيدة التي يقول فيها مخاطباً الملك الناصر .

كلا ودين الله أفضل ما تكلا وأفضل ما أمنت في نهجه الصلا

(١) أورد من هذه القصيدة جامع ديوان ابن المقرئ ص ٢٤٤ .

(٢) الأهدل : كشف الغطاء

(٣) الأهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٤) يقول في آخر قصيدة أرسلها إلى الناصر قبل هروبه :

خذ نصح من دانا الثمانين سنة وذلك عمر من يقاربه فلا

ديوان ابن المقرئ ص ٥٦

فذلك من دين الآله مقدم على كل شيء دق عندك أم جلا
ومما أنت إلا نائب الله في الورى فلا ذقت يوما من نيايته عزلا
إلى أن يقول :

فوالله لا حابى لى دينى أمراً ولا صانعت نفسى بخالقها خلا(١)
..... وجدوا فيها مناسا لإغاطة الملك الناصر عليه وقد أشار إلى هذا جامع
ديوانه فذكر أن هذه القصيدة هى التى (حصلت عليها الفتنة فى نخل وادى
زبيد) (٢).

ومهما يقال فى أسباب نقمة الناصر على ابن المقرئ فإن هناك عدة عوامل
تجمعت لتشكّل ذلك الغضب ومن أهمها السعاية السيئة ضده وسوابقه الكثرة فى
مناهضة للصوفية وقد ظل طيلة حكم الناصر معارضا للصوفية بما سبب له النقمة .
على أن ابن المقرئ لم يقطع كل وشائجه بالسلطان فكان يرأسه وهو فى منفاه
بالتقاصد المدبنة ويستعطفه فيها ويحثه على العفو كقوله فى قصيدة إليه :

ولقد فقدت وأنت أعلم منكم إنسا ولطفاً ما به تعويض
ورضى وفقد رضاك ليس بهين عندى فيحسن منى التفويض
والله لولا ما تحدثنى المنى عنكم وما علمى به محوض
ما عشت إلا وئيباً بمضى القضا وبقي ينقص بنية تفويض(٣)

وما زال ابن المقرئ يرأس الملك الناصر بمثل هذا الشعر حتى عطف عليه
وحسب عنه ويقين أنه خشى من انتجائه الى الامام على بن صلاح الدين الامام فى
ناحية الجبال (ونقل عن الناصر أنه قال أن يطلع ابن المقرئ الى الجبال كفرنا

(١) المصدر السابق ص ٥٣

(٢) المصدر السابق ص ٥٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٥

واستحلوا أهل بلادنا جملة (١) ومن ثم كان تقريبه لابن المقرئ مدار له منه وخشية من التجائه إلى الإمام الذي لاشك أنه سيحتج لجوء ابن المقرئ إليه كسبا سياسيا كبيرا وذلك لشهرة ابن المقرئ في ذلك الوقت وموافقته له في الإنكار على الصوفية إذا فإن الملك الناصر لم يترك هذه الفرصة لخصمه إذ سرعان ما استدعاه إلى زبيد ولم يمض على هروبه سواه (سنة واحد). (٢).

وعندما عاد ابن المقرئ إلى زبيد كان الملك الناصر يعيش آخر أيامه وقد بدا المرض يناوبه فلم يشير مسألة الصوفية وضلت الأمور راكده إلى أمد قصير وكل مانسمة من ابن المقرئ في هذه الفترة بضعة أبيات يسكت فيها جماهنة الفقهاء الذين وقفوا في محنة موقفا سلبيا فلم تكن لهم أدنى مشاركة فعلية وقد أعاد إلى أذهاننا صموده وحيدا أثناء المعركة في أبيات قالها :

وقت وحدي ادعوا بين أظهركم فلم يجهنى أمره منكم ولم يشب (٣)

بل إن من الفقهاء من لم يكتفى بالسكوت فوقف مع الصوفية معارضا لابن المقرئ وهم جماعة دبحوا عدة فتاويات تدمغ الفتاوى التي جمعها ابن المقرئ وتذهب إلى تأييد الصوفية وقد أشار إليهم ابن المقرئ بقوله — مخاطبا الملك —

ولا تصغ للفتوى التي نطقت بها رجال هوى حابوا رجال هوى شكلا (٤)
وكان من أبرز هؤلاء العلماء الذين انحازوا إلى الصوفية الفقيه عالم بن محمد بن فخر

(١) الأمدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢ وديوان ابن المقرئ ص ١٤٦

(٢) المصدر السابق ص ١٤٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٩

(٤) المصدر السابق ص ١٥٥

الذى نعهد له ترجمة عند البرهبي والسخاوي^(١) وقد ذيل على كراسة ابن
الكرماني بالموافقة على تعاليم الصوفية فكان هذا العمل مبعث سخط شديد عند
ابن المقرئ حتى أنه أرسل الية قصيدة ينكر عليه موافقته تلك جاء فيها :

بعت الهدى واعتصمت منه ضلاله نعم المبيع وبئس ذاك المشتري
أعلى شفير القبر قمت تبيمه ولو استعصمت به الخلود لتحشرا^(٢)

ومن الفقهاء من انحاز نهائيا إلى جانب الصوفية وكان حروبا على جماعته
أمثال يحيى بن روبك^(٣) الذى وقف ضد ابن المقرئ وظل يتحرش به عند السلطان
بالعديد من الاتصاف رغبة منه فى موافقة الصوفية على معتقدهم والدفاع عن رجالهم
أمثال الكرماني وغيره . وقد كان ابن روبك من طائفة الفقهاء بدليل أنه كان
ينكر فى أول أمره تعاليم الصوفية يقول المقرئ^(٤) :

ما كنت تروى يا ابن روبك قولهم إلا رواية منك غرضبان

(١) ترجم له بقوله على بن محمد بن عبد العلى بن فخر العسكى الزيدى ولد سنة ٧٥٨ هـ
وتقدم إلى ان صار مفتى زبيد وفقهيا والمرجوع اليه فى ذلك الوقت واكبر مفتيها سنا واخذ
الناس عنه وهو أول من ولى من الشافعية أمامه مسجد الاشاعر بها سنة ٧٧٩ توفى سنة ٨٤٢ هـ
وفى تاريخ البرهبي ورد ذكر كتيب له بعنوان (الظاهري) صنفه باسم السلطان الظاهر
يحيى بن اسماعيل الرسول فى الفقه . وترجم له أيضا ابن حجر فى (ابناء الفهر) والمقرئ فى
(السلوك) (الضوء اللامع ج ٥ ص ٣١٢) .

(٢) ديوان ابن المقرئ ص ٣٧ .

(٣) ترجم له السخاوى بقوله (أبو محمد يحيى بن روبك شيخ النجاة فى عصره باليمن
تفقه بصنعاء ثم استوطن تمز ومدح الملوك وقامت له رئاسته معهم . وكان على طريقه العرب
فى ارتجال شعر مات سنة ٨٣٥ فى نخل وادى زبيد ودفن هناك (الضوء اللامع ١٠ ص ٢٢٥) .

(٤) ديوان ابن المقرئ

فعلام قمت على الآله مفضبا متظاهرا بكرامة الكرماني
ما كنت أحسب أن دينك دينهم أبدا ولا صدقت غير الآي
ويشير المقرئ إلى أذية ابن روبك له بالتحريض عليه عند السلطان فيقول (١)
ثم ابن روبك قائم من دونه ومخادع بالشعر للسلطان
وقد استمرت العداوة بين الرجلين أمدا طويلا حتى آخر مراحل النزاع بين
الفقهاء والصوفية في عهد الملك الظاهر يقول ابن المقرئ (٢) .
قل لابن روبك لم لأعداء ربنا منك الوداد وللوالى الشناة
حاربتنى إذ قلت ربك واحد ونصرته إذ قال هو عدة
على أن ابن المقرئ ما كان سيهتم بالرد على ابن روبك لولا أنه وجد له نفوذ
كبير عند رجال الدولة الرسولية وذلك باعتراف ابن المقرئ نفسه الذى نسمعه
يقول للملك الظاهر :
ورأى ابن روبك أنه فى وقته وجهه وكلمته بكم مسموعة (٣)

(موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء)

بعد موت الملك الناصر (٤) يطالع الفقهاء عهد جديد من الأمن والحرية وقد
انزاح عنهم أكبر عقبة فى سبيل إصلاحاتهم الدينية إلا أن الصوفية فقدوا بموت
الملك الناصر أكبر صديق لهم ومدافعا عن قضيتهم وقد رأينا فى آخر عمره ينحاز
إليهم انحيازاً تاما ضد خصومهم من الفقهاء وقد كان هذا دافعا رئيسيا لنقمة الفقهاء

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق ٣٤١

(٣) المصدر السابق ص ٣٤١

(٤) تولى الملك الناصر أحمد بن الأشرف اسماعيل فى حصن قوارير ودفن بمدينة تهر فى ١٦

جماد الآخرة .

عليه فقد وصفوه بأشنع الارصاف ومنهم من أرجع سبب موته إلى نقمة إلهية نزلت عليه يقول ابن حجر العسقلاني — وهو فقيه عاش في مصر إلا أنه كان يتابع قضية النزاع في اليمن عن كتب — (وكان الملك الناصر فاجراً جائراً مات بسبب صاعقة نزلت على حصنه المسمى (قوارير) فارتاع من صوتها فتوعلك ثم مات)^(١) أما ابن الأهدل فيصفه بأنه أكثر من شرب الخمر وقرب إليه المبتدعة حتى (ضاقت منه صدور الناس)^(٢) وهكذا فإن موت الملك الناصر يعد من النعم الكبرى على الفقهاء .

وقد خلفه في الحكم ابنه الملك المنصور ٨٢٩ — ٨٣٠ هـ الذي اخذ من سيرة والده مع الفقهاء والصوفية العبرة اذ سرعان ما قرب إليه جمهور الفقهاء أحسن اليهم وكان على رأس هؤلاء الفقيه ابن المقرئ الذي عطف عليه وضمه إلى جلسائه^(٣) .

وكان ابن المقرئ قد سمى بعد تولى الملك المنصور الحكم مباشرة في العمل ضد الصوفية إلا أنه وقف أمام عقبة كاداً حيث كان الصوفي الكبير محمد بن محمد المزجاجي بما له من مكانة قصوى في المجتمع اليمني قد أحبط كل مساعي ابن المقرئ ضد الصوفية وهكذا كان على ابن المقرئ أن يترك أية برهة من الزمن حتى طالعتة الاخبار ذات يوم بموت المزجاجي في ٢٤ ذى القعدة سنة ٨٢٩ هـ ولم يمض على حكم المنصور سوى سنتين فيكون موت هذا العلم أكبر قاصم لظهور الصوفية إذ بموته فقدوا آخر شخصية تنافح عنهم وكان على الصوفية من أتباع ابن عربي أن يجابهوا الموقف بمفردهم وقد أصبحوا عرضة

(١) ابن حجر أنباء الغمر ج ٣ ص ٣٣١

(٢) غاية الأمان ص ٥٦٦ .

(٣) الأهدل : كتب الغطاء ص ٢٢٢

لمجلات الفقهاء عليهم بعد أن وجد لفقهاء من رجال الحكم إذنا صاغية لتحركاتهم
بهم وسينضح لنا ذلك جلياً في المجابهة العلنية بين ابن المقرئ والكرواني
من الصوفية :

وقبل الدخول في تفاصيل النزاع بين الرجلين يجب أن نعطي القارئ لمحة
عن حياة الكرواني الذي يعتبر آخر أتباع ابن عربي في اليمن خلال تلك المرحلة
وهو أحد القادمين إلى اليمن الذين أتوا منذ مدة مبكرة ولم يفصح أحد وأغلب
الظن أنه جاء قادماً من مدينة كرمان^(١) الواقعة في إيران كما يظهر من نسبته
إليها من ترجمته عن الوجوه التي أتت منها وهو من العجم (الفرس) كما يشير إلى
ذلك شعر ابن المقرئ وقد حمل معه من تلك الجهات^(٢) نزعة التصوف الفلسفي
الذي كان سائد في إيران ونواحيها ومن ترجمته من ذهب إلى أنه كان يعرف
فلسفة ابن سينا^(٣) وعندما نشر هذه الفلسفة في زبيد اصطدم مع شيوخها
الذين لم يكن لهم بها عهد^(٤) فنشأ معهم نزاع إلا أنه استطاع بددوى

(١) كرمان مدينة في إيران قاعدة الإقليم الثامن حالياً مساحتها ١٢ ألف كيلومتر وهي
مركز تجاري هام شهيرة بصناعة الانسجة القطنية والصوفية والسجاد (النجد في الاعلام
ص ١٣٣) .

(٢) نبغ من تلك الجهات من الفلاسفة جماعة من أشهرهم حميد الدين الكرواني الفيلسوف
الاسماعيلي .

(٣) السخاوي الضوء اللامع ج ٠٠٠ .

(٤) وقد وقعت مثل هذه الحادثة قبل هذا التاريخ بنحو قرنين عندما جاء إلى اليمن الزكي
ابن الحسن البليقاني ومعه شيء من علوم الفلسفة كالنطق وغيره يقول بالخرقة في وصف حادثته
تلك مع الفقهاء (كان أول وصوله إلى عدن لم يتعرض لذكر الأصول (الفلسفية) والنطق
ولمّا تظاهر بأقراء كتب الفقه فقرأ عليه القاضي يومئذ وهو عمدة بن أسعد العنسي (وحيز) =

التصوف أن يجذب إلى ناحيته شيوخ التصوفية الذين كان لهم نفوذ كبير وقد قرّبه إليه الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ومن بعده خليفته أحمد الرداد والمزجاجي فكانوا سنداً له ضد هجمات الفقهاء عليه . وكما نود أن : نظفر بمرجع يشرح فلسفته الإلهية أولاً اتنا لم نوفق في العثور على شيء من ذلك وكل ما عثرنا عليه في هذا العدد تنف منفرة جاءت على لسان خصومه من الفقهاء وهؤلاء يجب أن لا نعتد بأقوالهم في معرفة فلسفة الكرماني لتعاملهم الشديد عليه حتى أنه يكاد تختفي كثير من الحقائق عن هذا الرجل .

وعلى كل فليس أمامنا سوى الرجوع إلى مصدر الفقهاء لعدم وجود ما يقوم مقامها وسنجد من أبرز هؤلاء الفقهاء الذين تعرضوا لفلسفة الكرماني العلامة ابن المقرئ الذي أظن في الرد عليه ودها إلى تكفيره بل إلى قتله كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد وقد أشار إلى متفرقات من فلسفته أثناء رده عليه من ذلك عرض ابن المقرئ لراي الكرماني في النبوة وأن موسى كان عجولاً بخلاف فرعون الذي يغلب عليه الحلم والآناة يقول (١) .

== الفزائي ثم لما وجد عند السلطان لقبال عليه أظهر فلسفته وأقراء المنطق فانكر عليه القاضي المذكور ولأن الغالب على فقهاء اليمن عدم الاشتغال بالمنطق خاصة ثم أن القاضي العنسي هجر البيلقاني ونابذه واستطار الشقاق بينهما ولم تطلب نفس القاضي بتدريس ابن البيلقاني في المدرسة النصورية فسمى إلى إخراجها منها وقال للسلطان النصور هذا رجل جاء بشيء لا يحتمله أهل اليمن ولا يعرفونه ولذا سمعوه أنكروه ونسبوا صاحبه إلى الخروج عن الدين (أظن تاريخ نمر عد ن ج ٢ ص ٨٠) .

(١) ديوان ابن المقرئ ص ٣٩ .

وحقرتم من عظم الله قدره وعظمتكم ما حقر الله من قدر
 كقراكم موسى عجول ووصفكم لفرعون بالرأى المرجح والحجر
 كما انه عاب على ابراهيم تصديقه الرؤيا بذبح اسماعيل وأنكروا عليه
 اتباع رؤيا بل أنه خرج من هذا القول إلى نفي صدق رؤيا الانبياء جميعهم
 بما فيهم نبأ محمد صلى الله عليه وسلم :

ورؤيا الخليل الذبيح قلتم يبيغكم لرؤياه تأويل ولكن لم تدري
 وقلتم منام في منام لكل ما أتى من رسول الله والنهي والامر^(١)
 أما رأى الكرمانى فى الألوهية فهو يذهب فيه إلى أن الألوهية والعبودية
 كلناهما محتاجة إلى بعضهما البعض وأن الله سبحانه لا يستغنى عن عباده وهو
 محتاج إليهم بالطع^(٢) .

وقلتم بأن الله جل جلاله على حال محتاج إلى الخلق مضطر^(٣)
 وإذا كان ذلك معتقد الكرمانى فلا فرق عنده بين عبادة الله وعبادة الصنم
 وشبهته بالخلق جهلا وقلتم عبادته مثل العبادة للصخر^(٤)
 وفى النهاية يعنى ابن المقرئ على خصمه بثه فى الناس فلسفته الإلحادية وتدوى
 هتاتهم :

فتنت وأوجعت الورى فى إلههم بما لا يطيق المرء فيه على الصبر^(٥)
 ثم يقول له إننى لم أعاديكم لشخصك وإنما لما جئت به من هتائد فاسدة فى مسألة
 البارى والانبيا .

فوالله ما عردت بغيا ولا هوا ولا فى سوى البارى ومرسله الطهر^(٦)

(١) المصدر السابق والصفحة

(٢) المصدر السابق (نفس الصفحة) .

(٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦) . ديوان ابن القرئ .

(مصادرة الكرماني)

وإذا كنا قد عرضنا لفلسفة الكرماني - كما نقلها ابن المقرئ - فما علينا الآن إلا أن نلقى نظرة على النزاع في مرحلته الأخيرة ومنجده قد انحصر نطاقه في شخصين هما الكرماني السابق الذكر - من جانب الصوفية - وابن المقرئ - من جانب الفقهاء - ولم نعد نسمع غير صوت هذين الرجلين .

وقد كان ابن الكرماني قد فقد - يوت - بديقه المزجاجي أكبر مدافع عنه وأصبح في موقف لا يحسد عليه حيث لم يعد هناك من يحميه الحماية الكافية ضد تحرشات خصومه من الفقهاء باستثناء بعض الشخصيات البسيطة ذات النفوذ المحدود ومن أبرزهم الأمير شمس الدين علي بن الحسام بن لاشين^(١) والفقير يحيى ابن روبك وهؤلاء سينعدم تأثيرهما عند ما يقوم ابن المقرئ بمحملته الجديدة على الكرماني .

قد نجح ابن المقرئ هذه المرة في التأثير على الملك المنصور بشأن الكرماني واستطاع أن يدفعه في القيام بعمل معاد حيث نهج المنصور قد أرسل جماعة من جنده للهجوم على منزل الكرماني ومصادرة ممتلكاته وكان يزعم في إعدامه لولا تدخل أحد الأمراء في قضيته فاطلقه بشفاعة هذا الأمير على أن يغادر مدينة زبيد فذهب إلى مدينته بيت الفقيه مستجيرا بشيوخها بني هجيل .

ولم تمنح سوى نزهة قصيرة على الحادثة حتى يتوجه الكرماني إلى تمر وهنا يكون له ابن المقرئ بالمرصاد فيثير عليه الفقهاء تهيدا للقيام بعمل آخر ضده وقد صاغ ابن المقرئ صورة استفسار موجه إلى الفقهاء يذهب فيه إلى أن ابن الكرماني قد خرج عن الدين وأن حكمه هو حكم المرتد ثم طلب من الفقهاء الإجابة عليه فما كان منهم إلا أن كتبوا بالإيجاب وذهبوا فيما كتبه مذهب

(١) ديوان ابن المقرئ ص ٢٨ .

ابن المقرئ من خروج الكرمانى عن جادة الشريعة وكان من بين المجيبين - كما يقول ابن الاهدل - الفقيه الكاهلى والفقيه قاسم الدمى وصادف فى هذه الاثناء وجود العلامة الاسلامى الكبير محمد بن محمد الجزرى فى اليمن قادما (١) من مكة فكتب حول سؤال ابن المقرئ فتوى تذهب مذهب الفقهاء (٢) ثم لأنها عرضت على سائر علماء اليمن ومن بينهم ابن الاهدل الذى يقول راوياً عن نفسه (ثم حملت الجوابات إلينا إلى قرية أبيات حسين فكتبت عليها بجواب أبلغ من الجواب الأول الذى كتبه فى أول الفتنة) (٣) ، (٤) وهكذا تجمعت حصيلة رافرة من الفتاوى كالماء تجمع على كفر الكرمانى ومن ينتمى إلى مذهب ابن عربى ثم ثم ان هذه الفتاوى عرضت على الملك المنصور فافر بما فيها وأمر باحضار الكرمانى لمحاكمته (٥) .

وقد اشار إلى هذه المحاكمة ابن الاهدل الذى يقول فى وصف ما شاهده (فاستحضر ابن الكرمانى إلى مجلس الشرع الشريف فآظمر التوبة والرجوع إلى الدين الاسلام) (٦) .

ثم ان الفقهاء اشترطوا عليه بعد اعلان توبته ان (يهجر كتب ابن عربى (٧)) وان يكتب فى ذلك سكا يكون حجة عليه (وكتب بذلك مسطوراً قرى على منبر

(١) قدم الجزرى إلى اليمن فى سنة ٨٢٨ هـ

(٢) انظر هذه الفتوى فى القسم الخامس باللاحق .

(٣) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢

(٤) انظر هذه الفتوى فى قسم الملاحق • وقد حذفناها بعد تضخم الكتاب وستنبهتها فى

طبعة قادمة انشاء الله »

(٥) الاهدل : تحفة الزمن مخطوط

(٦) الاهدل : كشف الغطاء ص ٢٢٢ .

(٧) الاهدل : المصدر السابق ص ٢٢٢ .

الجامع بزهد على لسان خطيبها موسى الضجاعي روى أيضا على منبر المهجم^(١) ولم ينتهى الأمر عند هذا الحد فقد أمر المنصور بنفيه إلى جيزان فظل مختفيا بها طيلة حكمه حتى وفاته سنة ٨٣٠ هـ وهذه المحاكمة العامة استعاد الفقهاء سيطرتهم على الموقف من جديد ولم يعد هناك من يتابعهم بالنفى والتكيل أما الصوفية فقد انعكس الحال عليهم وأخذوا يتخفون بتعاليمهم خشية من الفقهاء كما يقول ابن المقرئ في قصيدة يصور فيها حالة الصوفية في تلك الفترة^(٢).

إذا شرعوا في الاعتقاد تخافتوا تخافت سراق على الخرز تنقب
من اللذ حتى يحسبوا كل صيحة عليهم فنلقى المرء في الأمن يرغب

في عهد الناصر الثاني

الا ان هذه السيطرة لم تدم طويلا للفقهاء إذ سرعان ما تولى الملك المنصور فخلفه في الحكم شاب صغير لا يتجاوز سنه الثانية عشر هو الملك الأشرف إسماعيل ابن أحمد فكثر (الاختلاف والفساد في عصره)^(٣) فلم يلبث في الحكم سواء أشهر قلائل ثم قبض عليه العسكر في مدينة تمر وخلصه في نفس السنة التي تولى الحكم فيها.

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الملك في الحكم فقد اعتم الكرماني فرصة وجود (القوضى) بالمدينة فدخل زبيد متسللا^(٤) وهناك قابل الملك المنصور

(١) المصدر السابق . ص ٢٢٢ . ويقول (وهذا المسطور محفوظ عند جماعة من الفقهاء فليقف عليه من اراد ذلك) .

(٢) ديوان ابن المقرئ ص ٤٨ .

(٣) غاية الأمانى ص ٦٧ .

(٤) يقول ابن الأهدل حول دخول الكرماني زبيد في هذه المرة (أنه راسل بعض اصحابه زبيد فأثنه) انظر تحفة الزمن مخطوط .

واستطاع ان يؤثر عليه لصغر سنه وكانت الايام التى قضاها المنصور فى الحكم من الايام الذهبية بالنسبة للكرمانى حيث وجد الحرية التامة فى اعلان مذهبه الصوفى والتنديد بخصرهم من الفقهاء بل انه اشتغل فى هذه الفترة بتصنيف مؤلف فى الرد على ابن المقرئ صرح فيه برجرعه إلى مذهب الاول من القول بوحدة الوجود وعبادة الاصنام وغير ذلك (١) حتى ان ابن المقرئ لم يسهه إلا ان يضع رسالة صغيرة فى الرد عليه وقف عليها ابن الاهدل وقال أنها تقع فى نحو عشر ورقات (٢) ثم ان ابن المقرئ تابع رده عليه فى عدة قصائد كقولها فى احداها مخاطبا الكرمانى ومذكرا له توبته تحت رهبة السيف :

الم استتب والسيف ينتهى وقد دارنا عينك من شدة الدهر
وكان ندا يوم عظيم ومشهد به العلماء قد اجمعوا وذرو الامر
وافترا جميعا ان قتلك واجب وتركك تغوى الناس من اعظم الوزر
وفوديت من فوق المناير كافرا على اروس الاشهاد بالمنطق الجهر
واسلمت خوف السيف كرها فإ الذى : امننت به حتى رجعت إلى الكفر (٣)
ثم يلتفت إلى الملك الصغير ويحاول ان يحى فى نفسه النخوة الدينية بأن يقول
الكرمانى هل تظن ان لا ناصر للدين وهذا إسماعيل ليس له شغل سوى
الذنب عنه .

ظننت بان الدين لا ناصر له فجننت لى تشفى به غلة الصدر
كذبت واسماعيل ملائيا به فان كنت لا تدري فلا بد ان تدري

(١) الاهدل : كشف النطاء ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٣) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ .

ملك البراهما والذي ليس همه سوى الذب عن دين المهيمن والنصر^(١)
ويبدو ان الكرماني استطاع ان يؤثر على الملك الاشرف بذكر صلته الحسنه
مع والده الملك الناصر وكيف أنه ظل مؤبدا له ضد خصومه من الفقهاء هنا نجد
ابن المقرئ يعيد إلى ذهن الملك الطفل ان والده لم يمض الا بعد ان تبرأ من اتباع
مذهب ابن عربى فيقول^(٢) :

ومامات حتى قد تبرأ منكم وأفضاك عنه من جرالكلب عن حبر
ومات بحمد الله احسن ميتة يموت عليها من ينعم في القبر
تبرأ مما قلتهموه جميعه بحمد آله العالمين وبالقدس
على أنه يعتز ان الكرماني خدع الملك الناصر برهة من الزمن وهو الآن
يحاول خداع ابنه بتحييد مذهبه إليه^(٣) .

خدعت ابن إسماعيل أحمد مرة وجرعته شوما أمر من الصبر
وجئت لإسماعيل تبعي خداعه ايلسح سلطانان ويلك من جحر
وبعض ابن المقرئ يذكر الابن بشؤم الكرماني على والده وأنه كان سبياً
في هزائم كثيرة نزلت عليه^(٤) .

لقد كان سلطان البريه أحمد إذا صال لم يدفع ببحر ولا مجر
تخلى له أهل الحصن حصونهم إذا امهم في موكباً لفتح والنصر
فسلحته نعمانا^(٥) وسائل كوابنا^(٦) ودمتا وأطراف البلاد إلى الشحر

(١) ، (٢) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ .

(٣) ، (٤) ديوان ابن المقرئ ص ٣٨ — ٤٠ .

(٥) نعمان اسم لعدة أماكن في اليمن انظر صفحة جزيره (ص ١٦ وكوابن اهل يعني

بها كيان .

(٦) الامدل : كشف الغطاء ص ٢٢٣ .

إلى أن غشى شيطان كرمان بابه وعارض أرباب الشريعة بالمسكر
وأول شؤم الخبيث بداله حديث العشوائى وهى احدثنة الدهر
ثم تتالى المزائم الكثيرة كحقوق زبيد ويافع وعدن وحصى تمر الى غير ذلك
وكله بسبب شؤم ابن الكرمانى كما يقول ابن المقرئ :

ومكذبا وبأسلوب الاطفال يحاول ابن المقرئ جاهدا ان يفيض اليه ابن الكرمانى
إلا انه اقتنع فى نهاية الامر بعدم جدوى — ما يقول له ابن المقرئ فى قصائد زد
على ذلك ان البلاد كانت تعتمد زواج سياسة طاحنة تكون سببا فى إزاحة
الطفل عن الحكم دون ان تمر عليه سنة واحدة .

تولى الملك الظاهر وانتصار الفقهاء

وقد ولى المسكر بعده عمه الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل الذى كان قابعا
فى سجون الاشرف فاكان منه إلا أن قرب إليه ابن المقرئ وأزاح الكرمانى
كمنفيا إلى مدينة بيت الفقيه^(١) وذلك منه مخالفة ظاهرة لسياسة الاشرف .
على ان الكرمانى كان بمقوتنا من قبل الفقهاء — كما يقول ابن الاهدل —^(٢)
فجاء تصريف الملك الظاهر تجاهه كترجمة فعلية لبعض الفقهاء له وقد اثنا عليه فى
هذا العمل ابن المقرئ بقوله .

ما كنت الاغارة الله ومن تطلبه غارة الاله يدرك

اخرجته من مجلس العلم وقد دنسه بما به ياتفك^(٣)

ومكث ابن الكرمانى فى منفاه ببيت الفقيه نحو سنة كان خلال يدأب فى
نشر مذهبه الصوفى بين الاهالى وقد بالغ اتباعه فيما إلى نحو خمسين شخصا كما نفهم

(١) الاهدل : المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٢) الاهدل : المصدر السابق ص ٢٢٣ :

(٣) ديوان ابن المقرئ ص

من احصاء ابن المقرئ لهم الذى يقول (١) :

يربى على الحسين قوم غرهم قد غدوا امسوا وكل ميت
واقام فى بيت الفقيه فما بقى لختيارهم بيت الفقيه بقية

ثم أنه أراد الدخول إلى مدينة زبيد لحضور مجلس افطار الملك الظاهر بجانب
العلماء وكبار الدولة (٢) فيأتى ابن المقرئ ليقف معارضا لطلب الكرماني
ويقول للسلطان (كيف يحمل ان يدخل هذا الكافر بين المسلمين) (٣) ثم أنه يشه
قضية قديمة طالما رددما ابن المقرئ وهى مسألة عقيدة الكرماني ونجده هنا
يفكر السلطان بدعوته السابقة فى قتل الكرماني ويقول له لو انكم طرستم عنقه
فى ذلك التاريخ لكفيتهم شره .

لو كنتم امس ضربتم عنقه لزال عن دين الاله وعك
مافر به عند الاله ادخرت مثل دم الكرماني حين يسفك (٤)
الا ان ابن المقرئ يعود فى مخاطبة الظاهر ويتزل له بامكانك الان ان
تستدرك هذا الامر وتقدم على قتله (٥)

والله ياخير الملوك انها عظيمة لكنها تستدرك
السيف فى الكف وهندى العلماء يفتون ان مثله لا يترك
وهكذا يثير ابن المقرئ قضيته ابن الكرماني من جديد فيدعوا إلى قتله
وقد شاركه فى هذه الدعوة جميع من الفقهاء يقول ابن الاهدل : (وجرى

(١) المصدر السابق ص

(٢) الأهدل : تحفة الزمن (مخطوط) .

(٣) المصدر السابق (مخطوط)

(٤) ، (٥) ديوان ابن المقرئ ص

في قتله خوض في مقام السلطان (١) فاستدعى إلى مدينة : بيد وهقد الفقهاء
 مجلس خاص به خيره فيه بين التوبة أو القتل بالسيف فاخترت الأولى وقد انطلقه
 الشهداء من صديقة القديم الفبة على بن محمد فخر (٢) أما ابن روبك فذهبه في هذه
 الآونة يدعوا إلى مناظر الرجلين ابن المقرئ والكرمانى - ليدين أيهما على الحق
 فيجيبه ابن المقرئ قائلا هل يستوى الإيمان والكفر ومع هذا فستكون النتيجة
 في غير صالح صاحبه لو أن الملك الظاهر استجاب لطلب ابن روبك يقول
 ابن المقرئ :

قال ابن روبك ناظروا ما بينهم ليدين هذك من هليه العمدة
 اتراه ظن الكفر كفوا للهدى فأراد يعرف أى قول أنبى
 لو أن ملك العالمين لأجابة ندم ابن روبك واعتبرته الخجلة (٣)

وبدوا أن الوشايات قد كثرت حول الكرمانى في هذه الفترة ولم تعد
 محصورة في المجال الدينى إذ تعدته إلى جانب السياسة واتهم بموالاة لثنا
 العباس بن إسماعيل الرسول أحد أفراد بيت الامارة المطالبين بالحكم (٤) فإكان
 من صاحبنا الكرمانى إلا أن فرج بجلدة سالما إلى جازان وظل بها مختفيا حتى
 وفاته سنة ٨٤١ هـ .

ويقول جامع ديوان ابن المقرئ أن ابن روبك شفع لابن الكرمانى عند

(١) ابن الأمدل : تحفة الزمن مخطوط

(٢) الصدر السابق .

(٣) ديوان ابن المقرئ ص .

(٤) أشار إلى ثورته المؤرخ يعقوب بن الحسين في غاية الامانى ص ٥٧٢ وقال أنها
 حدثت سنة ٨٣٩ أى بعد وفاة ابن المقرئ بستين ولكن يبدو أن هذه الثورة ليست هي
 الأولى فقد سبقها عدة محاولات بدليل أن ابن المقرئ قد إدرك فرار الكرمانى كما سيتضح
 لنا فيما بعد .

السلطان وطلب منه أن يسمح له بمخادرة اليمن وقد كتب ابن المقرئ - حول هذا
الطلب قصيدة ساخرا فيها منه سائئيتها هنا كاملة لصلتها بالموضوع الذى ندرسه :

الفسخ يطلب منكم الكرماني	ليحج أو ليسيج في البلدان
قد كان صوفيا فليس بقاطن	في بلدة مع أهلها القطان
بل راية التطواف من أرض إلى	أرض ومن وطن إلى أوطان
ولو أنه يهوى المقام بأرضكم	لاقام فيها في نعيم جنان
لكنه يخشى من الفقهاء ماء	يخشاه كل طلا من الذوبان
فاذا رأى اليمن السعيد كجنة	ألقى بها الفقهاء كالنيران
وجحيمه منهم أضر عليه من	حر الجحيم ومن حميم أن
ومن أدعى منهم له حبا فما	هو غير حب الهر للفيران
وأولوا التفقه ليس يبرح عندهم	لأولى التصوف أعظم الشنان
فتان مختلفتان جدا هذه	مثل الضباب وتلك كالنيران
يحمى وطيس الحرب بينهما ولا	طعن ولا حرب بغير لسان
كل يكفر خصمه وهواه من	حزب الضلال وزمرة الشيطان
فترى الفقيه يود للصوفي أن	يفنى وكل فهو ربي فاني
ماحجر إسماعيل يقضى غير أن	يغدوا الذبيح محمد الكرماني
كم ود إسحاق له	أو ذبحه بيدي هدو شاني
مازال يسمى جامعا في قتله	لا وانيا عنه ولا متوان
ويسير الأشعار فيه محرضا	فيها عليه لكل ذى سلطان
ويذب أقوالا تليق سواريا	منه إلى الأمراء والعلمان
ما هنا السلطان إلا بالهجم	لمحمد ذلك الضيف العاني
كم قال فيه اهاجيا وأتى بها	مدحا لكل خليفة وتهاى
كم عصب الفقهاء عليه مبالغ	في ذاك ذا جد وذا معان

في دولة المنصور كان لإباده
 قد كان شب عليه أعظم وقدة
 كانت لعمري وقدة مشبوبة
 كادت تذيب بهرما أرواحنا
 كم حرقنا من صوف صوفي وهل
 قد كان لإسماعيل مسمرها ولم
 لكن وقاه الله عز جل جلاله
 والآن جدت عزيمته هل
 هربا من القوم الأولى يسمون في
 فامنن له بالفسح باملك الوري
 ولإذان له بالسير بنجو به
 لولا وقته حاية الرحمن
 حميت على قاصي الوري والنداني
 بهبوب ريح الظلم والعدوان
 من قبل أن تدنوا إلى الإبدان
 للصوف من بقيا مع النهران
 يجعل لها خطبا سوى الكرماني
 من حرما المشبوب والهباني
 سمر يذيب وكائب الركبان
 لإهلاكه في السر والاعلان
 فالفسخ فيه له أجل أمان
 من وقع كل مهند وسان

مراجع الكتاب

نقتصر هنا على أهم المراجع التي رجعنا إليها في تأليف هذا الكتاب ، وقد حذفنا لفظه ، ، أبو وابن من هذا الترتيب ،

(١) الأسنوى :

طبقات الشافعية طبع ببغداد سنة ١٩٧٠ بتحقيق عبد الله الجبوري .

(٢) ابن الأمير : محمد بن اسماعيل المتوفى سنة ١١٨٢ هـ

ديوان ابن الأمير طبع في مصر سنة ١٩٦٤ م

(٣) أمين : أحمد

ضحى الاسلام طبع - مصر سنة

فجر الاسلام طبع في مصر سنة

(٤) الأهدل : عبد الرحمن بن حسين الأهدل الت. في سنة ٨٥٥

: تحفة الزمن بذكر سادات اليمن ، مخطوط ، .

: كهف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر

الائمة الأشعرية ومن خالفهم من المبتدعة وبيان حال

ابن عربي واتباعه المارقين . طبع في تونس سنة ١٩٦٤

بتحقيق الدكتور أحمد بكير .

(٥) الأهدل : عبد الرحمن بن سليمان . المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ

النفس اليمانية في أجازة القضاء بنى الشوكاني ، مخطوط ،

- (٦) بامخرمة : عبد الله د الطيب ، بامخرمة المتوفى سنة ٩٤٧ هـ
تاريخ نهر عدن . طبع ليدن سنة ١٩٢٦ .
- (٧) باوزير : سعيد بن عوض د معاصر ،
الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي . طبع مصر سنة ١٩٦١ هـ
- (٨) البريوي د من علماء التاسع الهجري ،
تاريخ علماء اليمن د مخطوط ،
- (٩) ابن بهران : محمد بن يحيى المتوفى سنة ٩٥٧
الكشف البيان عن حال منصرفة الزمان د مخطوط ،
- (١٠) البيهقي : محمد بن سالم المتوفى سنة ١٣٩٢ هـ
أشعة الأنوار على مرويات الاخبار . طبع مصر سنة ١٣٩٣ هـ
- (١١) الجندی : بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف المتوفى سنة ٧٣٢
السلوك في طبقات العلماء والملوك د مخطوط ،
- (١٢) ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
: صفة الصفوة . طبع الهند ١٣٨٩
: تلبیس لبليس . طبع بيروت
- (١٣) الجيلاني : عبد الكريم بن إبراهيم د من علماء القرن التاسع ،
الانسان السكام في معرفة الاوافر والاولائل . طبع القاهرة
سنة ٣٨٣ هـ
- (١٤) الرازي : أحمد بن عبد الله المتوفى بعد سنة ٤٦٠
تاريخ صنعاء . طبع دمشق ١٩٧٤ بتحقيق الاستاذ حسين
العمري .
- (١٥) حاجي خليفة : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون طبع تركيا
سنة ١٩٤١ هـ .

- (١٥) الحامدي : صالح بن علي المتوفى سنة ١٣٨٧
تاريخ حضر موت طبع جده سنة ١٩٦٧ م
- (١٦) الحبشي : أحمد بن زين المتوفى في سنة ١١٤٥
شرح العينية طبع دمشق سنة ١٣٩٣ هـ
- (١٧) الحبشي : عبد روس بن عمر المتوفى سنة ١٣١٤
عقود اللال باسانيد الرجال طبع مصر سنة ١٩٦١
- (١٨) ابن حجر العسقلاني : أحمد بن سـ المتوفى سنة ٨٥٦
أنباء الفهر بانبا المعر طبع مصر سنة ١٩٧١
- (١٩) الحضرمي : عبد الرحمن « معاصر »
جامعة الأشاعر طبع صنعاء سنة ١٩٧٤
- (٢٠) الخزرجي : علي بن الحسن المتوفى سنة ٨١٢ هـ
: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية طبع مصر
سنة ١٩١١ هـ طراز أعلام الزمن يذكر أعلام اليمن
« مخطوط » .
- (٢١) الذهبي : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٥٧٤٨
العبر في خبـ من غير طبع الكويت ١٩٦٠ م
- (٢٢) ابن أبي الرجال : أحمد بن صالح المتوفى سنة ١٠٩٢
مطلع البدور ومجمع البحور « مخطوط »
- (٢٣) زباره : محمد بن يحيى المتوفى سنة ١٣٨٠
: ائمة اليمن في القرن الرابع عشر طبع مصر سنة ١٣٧٥
: نشر العرف لنبلأه اليمن بعد الألف طبع مصر سنة ١٣٧٦
- (٢٤) الزبيدي : محمد المرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥

- «اج العروس شرح القاموس طبع مصر سنة ١٣٠٧
الذخيرة القدوسية بواسطة البعثة العيدروسية « منخطوط »
(٢٥) زر زور . عدنان « معاصر »
الحاكم الجسمي طبع بيروت
(٢٦) الذركلي : خير الدين « معاصر »
الاعلام طبع مصر سنة ١٩٥٠ وما بعدها
(٢٧) زكي مبارك المتوفى سنة ١٩٥٢ م
التصوف الاسلامي طبع مصر سنة ١٩٣٨ م
(٢٨) لسبكي : عبد الوهاب بن علي المتوفى سنة ٧٧١ هـ
طبقات الشافعية طبع مصر سنة ١٣٢٤ هـ
(٢٩) السخاوي : شمس الدين محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٠٢ هـ
الضوء اللامع لاعيان القراء التاسع طبع مصر سنة ١٣٥٢
(٣٠) السقاف : علي بن أبي بكر المتوفى سنة ٨٩٥ هـ
البرقة المشبهة في ذكر الحرفه الانيقه وشيوخ الطريقة طبع
مصر سنة ١٣٤٧
(٣١) اب سمرة : عمر بن علي المتوفى سنة ٥٨٦ هـ
طبقات فقهاء اليمن طبع مصر سنة ١٩٥٧ م بتحقيق الاستاذ
فؤاد سيد
(٣٢) الشاطري : محمد بن أحمد « معاصر »
ادوار التاريخ الحضرمي نشر جده سنة ١٩٦٢ ، ١٩٧٢
(٣٣) شرحي : أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف المتوفى في سنة ٨٩٣ هـ
طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص . وقد نرمل له
بالخواص طبع في مصر سنة ١٣٢١ هـ

- (٣٤) للمولى محمد بن ابي بكر المتوفى سنة ١٠٩٣
- : المشرع الروبى فى : اقاب السادة بنى علوى طبع مصر سنة ١٣١٩
- (٣٥) الشوكانى : محمد بن على المتوفى سنة ١٢٥٠
- البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع طبع مصر سنة ١٣٤٧
- (٣٦) صافى حسنة دمعاصر،
- الادب الصوفى فى القرن السابع بمصر طبع مصر سنة ١٩٦٤
- (٣٧) العامرى : يحيى بن ابي بكر الخرطى المتوفى سنة ٨٩٣
- غربال الزمان المفتتح بسهرة سيد ولد عدنان د منخطوط ،
- (٣٨) ابن عربى : يحيى الدين محمد بن على المتوفى سنة
- الفتوحات المكيية طبع مصر سنة ١٢٩٣
- فصوص الحسم طبع فى مصر سنة ١٩٤٦
- (٣٩) عز الدين بن الحسن الإمام المتوفى سنة ٩٠٠
- كنز الرشاد وزاد المعاد طبع مصر سنة ١٣٤٦
- (٤٠) عمارة بن على بن زيدان المتوفى سنة ٥٦٩
- المفيد فى اخبار صنعاء وزيد طبع مصر سنة ١٩٦٥
- (٤١) العمري : شهاب الدين المتوفى سنة ٧٤٩
- مسالك الابصار فى ممالك الاوطار فصله مسئلة بتحقيق ايمى السيد
- طبع القايرى سنة ١٩٧٤
- (٤٢) العقيلى : محمد بن أحمد دمعاصر،
- من تاريخ الخلفاء السلجاني طبع القايرة سنة ١٩٥٨
- التصوف فى تمامه جدة سنة ١٩٦٤ م
- (٤٣) على بن نور الدين المكي د القرن الثانى عشر ،
- نزهة الجليس ومنية الاديب لايس طبع القايرة سنة ١٢٩٣
- (٤٤) العيدروس : أبو بكر بن عبد الله المتوفى سنة ٩١٠

الجزء اللطيف في التحكيم الشريف طبع القاهرة سنة ١٣٥٥
ديوان حجة السالك ومحجة الناسك طبع القاهرة سنة ١٣٥٥

(٤٥) البعدروس : عبد القادر بن شيخ المتوفى سنة ١٠٣٨
النور السافر في اخبار القرن العاشر طبع بغداد سنة ١٩٣٤
(٤٦) البعدروسى : عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة ١١١٢
ايناس الصفرة بأنفاس الفموة مخطوط .

(٤٧) الغربانى : إسماعيل بن ممدى « معاصر »
نفس الرخى فيما لاحباب الله من علو الشأن طبع عدن
سنة ١٣٨٠

(٤٨) القاسى : محمد بن أحمد المتوفى سنة ٨٣٢
العقد اليمنى في تاريخ البلد الامين طبع القاهرة سنة ١٩٦٣
بتحقيق الاستاذ سيد

(٤٩) القارى : المرشد إبراهيم بن عبد الله « القرن التاسع »
الدر اليمنى في مناقب الشيخ محيى الدين طبع بيروت سنة ١٩٥٩
« بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد »

(٥٠) القشاشى : أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٠٧١
السمط المجيد طبع الهند سنة ١٩٠

(٥١) ماسنيون : حياة العلاج بعد موته بمجلة المورد العراقية العدد ٣ سنة ١٣٩٢

(٥٢) متن : آدم : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع طبع بيروت
سنة ١٣٨٧

(٥٣) المحيى : محمد أمين المتوفى سنة ١١١
خلاصة الامر في أعيان القرن الحادى عشر طبع مصر ١٢٨٤

- (٥٤) المزجاجى: محمد بن محمد بن أبى القاسم المتوفى سنة ٨٢٩
هداية السالك إلى الهدى المسالك و منطوط ،
- (٥٥) المعرى: أحمد بن عبد الله بن سليمان المتوفى سنة ٢٤٧
رسالة الغفران طبع بيروت
- (٥٦) المظمى: أحمد بن محمد المتوفى سنة ١٢٧٨
ترويح الاوقات فى المغفرة بين القهوة والقات طبع القاهرة
سنة ١٩٧٥
- (٥٧) المقبلى: صالح بن مهدى المتوفى سنة ١١٠٨
العلم العماخ فى أبناء الحق على الأبا والمصانخ طبع القاهرة
سنة ١٢٢٨ (٥٨) ابن المقرئ: إسماعيل بن أبى بكر المتوفى
سنة ٨٣٧
- مجموع القاضى أبى الذبيح إسماعيل بن أبى بكر المقرئ
طبع الهند سنة ١٣٠٥
- (٥٩) ابن المهدى: يحيى من علماء القرن الثامن ،
صلة الاخرن فى حلية بركة أهل الزمى و منطوط ،
- (٦٠) أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠
حليه الأولياء وطبقات الاصفيا طبع القاهرة سنة ١٩٣٣
- (٦١) النعمى: حسين بن مهدى المتوفى سنة ١١٨٧
معارض الالباب طبع القاهرة سنة ١٣٧٠
- (٦٢) النهى وإلى: محمد بن أحمد المتوفى سنة ٩٨٨
البرق البسماني فى الفتح العثماني طبع بيروت بتحقيق
الشيخ حمد الجامى سنة ١٩٦٧
- (٣) الهدار: العلامة عبد الله بن أحمد المتوفى سنة ١٣٩٦
الجواهر فى مناقب الشيخ أبى بكر تاج الاكابر طبع القاهرة
سنة ١٣٩١

- (٦٤) الواسع المتوفى سنة ١٢٧٩
فرجة الهموم والحزن في تاريخ اليمن طبع القاهرة سنة ١٩٤٧ م
- (٦٥) رطبوط : المعلم (من علماء القرن التاسع)
تاريخ المعلم وطبوط . د مخطوط ،
- (٦٦) البيافعى : عبد الله بن اسعد المتوفى سنة ٧٦٨
مرآة الجنان وهبة اليقظان في معرفة حوادث الزمان
طبع الهند سنة ١٢٣٧
- روض الرياحين في حكايات الصالحين طبع القاهرة
- (٦٧) يحيى بن الامام القائم بن محمد المتوفى سنة ١١٠٠
: غاية الاماني في اخبار القطر اليماني طبع القاهرة سنة ١٩٦٧
هجرة الزمن ذيل انباء الزمن د مخطوط ،
- (٦٨) يحيى بن حمزة : الإمام المتوفى سنة ٧٤٧
تصفية القلوب عن الاوزار والدنوب د مخطوط ،

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٩	تاريخ التصوف من خلال اعلامه
١٢	في القرن الخامس
١٢	في القرن السادس
١٣	في القرن السابع
١٦	في القرن الثامن
١٨	في القرن التاسع
١٩	في القرن العاشر
٢٠	في القرون الاخيرة
٢١	التصوف في نهامه
٢١	التصوف في الجبال
٢٣	التصوف في حضرموت
٢٤	شعائر الصوفية
٣١	السماع عند صوفية اليمن
٣٩	سقوط التصوف
٤٠	تاريخ التصوف الحياصي
٤١	تاريخ التصوفية في عهد بني امية
٤٥	تاريخ التصوف في بني رسول
٤٦	في عهد الملك المظفر

الصفحة	الموضوع
٤٨	في عهد المجاهد
٤٩	في عهد / الأفاضل / الأشرف / الناصر
٥١	الصوفية والحكم العثماني
٥٣	الصوفية
٥٤	أدوية والدولة القاسمية
٥٧	مدرسة ابن عربي في التصوف اليمني
٧٠	رسالة ابن عربي في اليمن
٧٧	اتباع ابن عربي في القرن التاسع
٨٣	النزاع بين الفقهاء والصوفية اليمن
١٠٩	أحداث النزاع التاريخي
١١١	المرحلة الأولى
١١٧	المرحلة الثانية
١١٩	مراحل النزاع الأخيرة
١٤٢	محنة الفقهاء
١٥٤	موت الملك الناصر وتحسن حالة الفقهاء
١٥٩	مصادرة الكرماني
١٦٤	تولي الملك الظاهر وانتصار الفقهاء
١٦٩	مراجع الكتاب

خطا والصواب

صواب	خطا	صفحة	سطر
الورائى	الوارئى	٢٦	١١
للمشيخة	لليخة	٢٧	٥
مهمهم	مومة	٢٩	٩
نوع من العمودة	نوع العمودة	٤٠	٥
حاكما سنيا	حاكم السنى	٥٠	٥
يحمى	يحمى	٥٦	١٩
أن	ابن	٧١٩	١٢
وربما	وربما	٧٤	١
هنا	هنا	٨٠	١٦
وغيرهم	اياس وغيرهم	٩٤	١٧
العمرانى	العموانى	٩٦	١٠
المكلفين	المتكلفين	٩٧	١٤
الصوفية	الفقهاء	٩٨	٣
سابق	لاحق	١١٩	٢١
لاوجود لها	وقت	١٢٧	١٥
يستنزى	يستنزى	١٤١	١١
تكفير	تفكير	١٤٣	١٣
السماع	المساع	١٤٤	٢

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٤٨	٢	مجازمة	مجازفة
١٤٨	٤	لا أصل له	له
١٤٩	٢	ما يعينه	ما يعنيه
١٤٩	٣	فان من هذا كله إلخ	فان هناك رجال تحمل بهم المشكلات يستطيعون فهم ما يقصده ابن عربى وخبر لك من هذا كله
١٦٨	١٤	وتشوى	وتشويه
١٥٩	١	الرمكانى	الكرمانى
١٦٢	١٦	الذنب	الذنب
١٦٣	١٦	الحصن	الحصون
١٦٤	١	وعاض	وعارض
١٦٥	١٥	وهندى	وهلى
١٦٦	٣	الفقيه	الفقيه
١٦٦	٤	إلى مناظر	إلى مناظرة